فاصلة الآية القرآنية

تأليف

الدكتور

جمال مصطفى عبد الحميد عبد الوهاب النجار

أستاذ التفسير وعلوم القرآن

فى كلية أصول الدين

جامعة الأزهر - بالقاهرة

فاصلة الآية القرآنية

تأليف
الدكتور
جمال مصطفى عبد الحميد عبد الوهاب النجار
أستاذ التفسير وعلوم القرآن
فى كلية أصول الدين
جامعة الأزهر - بالقاهرة

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

الناشر

مطبعة
الحسين الإسلامية
٢٥ح المدرسة خلف الجامع الأزهر
تليفون : ٥١٠٦٧٢٤ - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ المقــدمة ﴾

إن الحمـد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونستـغفره ونتـوب إليه، ونستـعيذ به من شرور أنفسنا، ومن سيئـات أعمالنا، من يهده الله فـهو المهتدى، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً .

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشـهد أن سيدنا ونبينا محـمداً رسـول الله، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليـه وعلى آله وأصحـابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين، صـلاة وسلاماً وبركة، عدد خلقك ورضا نفسك، وزنة عرشك، كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون .

أما بعــد

فإذا كـان العرب قد اشـتهروا بتباريهم فى الفـصاحة، وتـسابقهم فى البلاغـة، وإذا كانوا قد جـعلوا للكلام مملكة بدون ملك، فإنهم - حـينما جـاءهم القـرآن - وجـدوا فـيـه ذلك الملك، الذى ينصـاعـون لنظامـه، ويحتكمون لبيانه، ويَزِنُونَ بميزانه .

فما فـتىء إلا وقد بهر عقولهم، وملك قلوبهم، فـانحنت هذه العقول لفصاحته راكعة، وخرت تلك القلوب لبلاغته ساجدة، إذ وجدوه فوق كل وصف، وأعظم من كل تصـور، فمـا من نوع راق من أنواع البـلاغة إلا رأوه قد جنح فيه إلى الوضع والتأصيل، وحينما قارنوا بينه وبين أسمى ما نطق به بلغاؤهم، وجدوا الـفرق بين البلاغتين، كالفـرق بين تلميذ بادئ، وأستاذ فائق، أو كالفرق بين المقلد والنابغ، وإن صدقت قلت: كالفرق بين المخلوق والخالق. ولله عز وجل المثل الأعلى، ولكتابه الوصف الأعظم .

من أجل هذا ألفينا العلماء على اختلاف ثقافتهم، وتعدد منابعهم وتنوع مشاربهم، قد وجدوا فى القرآن ما يشبع نهمتهم ويزيد، لأنهم مع كل تدبر يفتح الله عليهم بالجديد، وبما يفيض .

ولا غرو، فالقرآن بحر لا ساحل له، وعمقه لا آخر له، وبمقدار ما لدى الصياد من أدوات واستعداد، بمقدار ما يكون من إمداد، وما كان عطاء ربك محظوراً .

ومشاركة منا - رغم قلة بضاعتنا - ونرجو أن لا تكون بضاعة مزجاة رأينا أن نسهم فى هذا الميدان، - ميدان خدمة القرآن الكريم، كتاب الله رب العالمين .

وبعد استخارة الله سبحانه وتعالى، رأيت أن يكون بحثى فى هذا الكتاب حول لفظة واحدة من تركيب الآية القرآنية، ألا وهى الكلمة الأخيرة، من الآية، وهى التى تعرف بالفاصلة، أو برأس الآية، كما سيتضح الآن إن شاء الله تعالى .

وقد يستكثر بعض الناس أن تخص تلك الكلمة (الفاصلة أو رأس الآية) ببحث مستقل، ولكنهم إذا عرفوا فائدة تلك الفاصلة، والدور الذى تؤديه فى قضية الإعجاز القرآنى، طالبوا بالمزيد من تلك البحوث، التى تخص الفاصلة .

خاصة إذا علمنا أن عدد تلك الفواصل بلغ ٦٢٣٦ فاصلة حسب العد الكوفى [(١)] .

وإذا علمنا أن من فوائد الفاصلة معرفة عدد الآيات القرآنية، وأن علماء العَدّ صنفوا عشرات الكتب فى عدد الآى - كما سنذكره قريباً إن شاء

---

(١) كما ذكره الدانى فى كتابه «البيان فى عد آى القرآن» ص: ٨٠ طبعة مركز المخطوطات والتراث بالكويت، تحقيق: د/ غانم قدورى الحمد .

- أدركنا مدى ضـرورة الاهتمام بدراسة تـلك الفاصلة، من كل زاوية من زواياها .

ذلك أن هذه الفواصل متنوعة، سواء إذا نظرنا إليها بمفردها على حدة، أم إذا نظرنا إليها من خلال وضعها بالنسبة إلى أخواتها الأخريات .

وسواء إذا نظرنا إليها من ناحية ما يخص المعنى، أم من ناحية ما يخص الشكل اللفظى، المرتبط بالمعنى أيضـاً، إضافة إلى إيقـاعها السـمعى، من حيث الحـركات والسكنات، والغنات والمدات، والاتصـالات والسكتات، مما يؤدى إلى ما يطلق عليه الاستهواء الصوتى، أو التكييف الصوتى .

إن دراسة الفاصلة أو رأس الآية، من هذه الزوايا، يبين لنا: كم وكيف أسهمت تلك الكلمة الأخيـرة من الآية فى تعجيز العرب عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً .

وإننى إذ أقدم هذا البحث المتـواضع، لأبرأ إلى الله تعالى من كل حول وقوة، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

فما كان فيه من صواب فمن الله وحده، لا شريك له، وما كان فيه من غير ذلك فمن نفسى والشيطان، والله تعالى منه برئ .

وحـسبى أنى اجتـهـدت، وأرجو أن لا أحـرم أحـد الأجرين، أجـر الاجتهاد، وأجر الإصابة .

ربنا تقبل منا إنك أنت السـميع العليم، واغفـر لنا ولوالدينا ولأساتذتنا ولكل صاحب فضل علينا، ولسائر المؤمنين والمؤمنات، يوم يقوم الحساب.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين .

أبو محمد

د / جمال مصطفى عبدالحميد النجار

﴿الفصل الأول﴾

معنى الفاصلة

الفصل الأول

المبحث الأول : معنى الفاصلة

الفاصلة فى اللغة :

تطلق الفاصلة فى اللغة على ما كان حاجزاً بين شيئين .

جاء فى القاموس المحيط فى مادة (فصل) :

« الفَصْل : الحاجز بين الشيئين، وكل ملتقى عظمين من الجسد كالمَفْصِل، والحق من القول، ومن الجسد: موضع المَفْصِل، وبين كل مَفْصلين وصل .

والقضاء بين الحق والباطل .

والفاصلة : الخرزة تفصل بين الخرزتين فى النظام .

ويتعرض الفيروزآبادى للمراد بها عند علماء النحو أيضاً فيقول :

« وعند البصريين كالعماد عند الكوفيين » .

ومثال ذلك : قوله تعالى **﴿ إن كان هذا هو الحق من عندك ﴾** (الأنفال: ٣٢) . فالضمير (هو) هنا يسميه البصريون فصلا، أما الكوفيون فيسمونه عماداً .

ثم يعرف الفيروز أبادى الفاصلة عند علماء العروض فيقول :

« والفاصلة الصغرى فىَ العروض: ثلاث متحركات قبل ساكن، نحو ضَرَبَتْ، والكبرى أربع، نحو : ضَرَبَتَا .

والفصل فى القوافى: كل تغيير اختص بالعروض، ولم يجز مثله فى حشو البيت، وهذا إنما يكون بإسقاط حرف متحرك فصاعداً فإذا كان كذلك سمى فصلاً »[(١)] .

(١) انظر القاموس المحيط : مادة فصل .

كما يجدر الإشارة هنا أيضاً إلى ما اصطلح عليه واضعو قواعد الإملاء والكتابة فى علامات الترقيم من إطلاق لفظ الفاصلة على الشَّوْلة ويرسمونها هكذا « ، » للفصل بين عدة أشياء، كالمفردات المعطوفة والجمل القصيرة المعطوفة، وغير ذلك، على نحو ما قرروه هناك .

الفاصلة فى الاصطلاح

أما المراد بالفاصلة فى اصطلاح علماء التفسير وعلوم القرآن، فإنه يراد منها : الكلمة الأخيرة من الآية القرآنية .

وها هى بعض أقوال العلماء فى معناها :

عرفها الرمانى (١) بقوله: الفواصل: حروف متشاكلة فى المقاطع، توجب حسن إفهام المعانى (٢) .

وعرفها أبو بكر الباقلانى (٣) بقوله :

« وأما الفواصل فهى حروف متشاكلة فى المقاطع، يقع بها إفهام المعانى» (٤) .

وعرفها الراغب الأصفهانى (٥) بقوله :

« والفواصل : أواخر الآى » (٦) .

---

(١) الرمانى هو على بن عيسى بن على بن عبدالله أبو الحسن الرمانى، معتزلى مفسر من كبار النحاة، أصله من سامراء، ومولده ووفاته ببغداد، له نحو مائة مصنف توفى سنة ٣٨٤هـ. (الأعلام: ٥/ ١٣٤ ط كوستاتسوماس) .

(٢) النكت، ضمن ثلاث رسائل فى الإعجاز: ٨٩ .

(٣) الباقلانى هو: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر البصرى ثم البغدادى، متكلم على مذهب الأشاعرة ولد بالبصرة، وسكن بغداد، وسمع بها الحديث، ورد على المعتزلة والشيعة والخوارج والجهمية وغيرهم ت ٤٠٣ هـ (تاريخ بغداد: ٥/ ٣٧٩ للخطيب البغدادى، تذكرة الحفاظ للذهبى: ٣/ ٢٦٣) .

(٤) إعجاز القرآن للباقلانى : ٢٤٤ .

(٥) الراغب الأصفهانى هو: الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم، أديب لغوى، حكيم مفسر، له تصانيف كثيرة منها: مفردات ألفاظ القرآن، وتحقيق البيان فى تأويل القرآن توفى سنة ٥٠٢هـ (كشف الظنون: ٣٦، ١١٣١، تاريخ حكماء الإسلام للبيهقى: ١١٢، ١١٣) .

(٦) المفردات: (فصل) .

وعرفها ابن منظور [١] بقوله :

« وأواخر الآيات فى كتاب الله فواصل، بمنزلة قوافى الشعر - جل كتاب الله عز وجل - واحدتها فاصلة » [٢] .

وعرفها الزركشى [٣] بقوله :

« كلمة آخر الآية، كقافية الشعر، وقرينة السجع » [٤] .

وعرفها الفيروزآبادى [٥] بقوله :

« وأواخر آيات التنزيل فواصل، بمنزلة قوافى الشعر، الواحدة فاصلة» [٦] .

وعرفها السيوطى [٧] بقوله :

« الفاصلة كلمة آخر الآية، كقافية الشعر، وقرينة السجع » [٨] .

---

(١) ابن منظور هو: محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين، صاحب لسان العرب، من نسل رويفع بن ثابت الأنصارى ولد بمصر وخدم فى ديوان الإنشاء بالقاهرة، ثم ولى القضاء فى طرابلس ثم عاد إلى مصر فتوفى فيها سنة ٧١١هـ، ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد (الأعلام: ٧/ ٣٢٩) .

(٢) لسان العرب (فصل) .

(٣) الزركشى هو: محمد بن بهادر بن عبدالله المصرى الزركشى الشافعى، فقيه أصولى، محدث تركى الأصل، مصرى المولد والوفاة، رحل إلى حلب وسمع الحديث بدمشق وغيرها، من تصانيفه : البحر فى أصول الفقه، وشرح التنبيه للشيرازى، والبرهان فى علوم القرآن (الدرر الكامنة ٣/ ٣٩٧) .

(٤) البرهان: ١/ ١٤٩ .

(٥) الفيروزآبادى هو: محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم مجد الدين الشيرازى الفيروزآبادى من أئمة اللغة والأدب جال فى مصر والشام وبلاد الروم والهند، كان مرجع عصره فى اللغة والحديث والتفسير أشهر كتبه القاموس المحيط، وبصائر ذوى التمييز، توفى عام ٨١٧هـ (الأعلام: ٨/ ١٩) .

(٦) القاموس المحيط: مادة (فصل) .

(٧) السيوطى هو: عبدالرحمن بن أبى بكر بن محمد جلال الدين أبو الفضل المصرى الشافعى، لما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، له مئات المصنفات، فى سائر العلوم، منها الدر المنثور فى التفسير بالمأثور، والجامع الصغير فى الحديث، وحسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة، توفى عام ٩١١ (الضوء اللامع للسخاوى: ٤/ ٦٥) .

(٨) الإتقان: ٢/ ٩٦ .

وبهذا يتبين أن هناك إجماعاً من العلماء أو ما يشبه الإجماع على أن الفاصلة هى الكلمة الأخيرة من الآية .

ولكن ورد عن أبى عمرو الداني[١] ، وسيبويه ما يعكر على هذا الإجماع .

حيث ورد عنهما ما يفيد توسيع دائرة الفاصلة، ليشمل إضافة إلى آخر الآية الكلمة التى تكون فى أثناء الآية، التى يتم بها معنى جملة منفصلة عما بعدها .

يقول أبو عمرو الدانى فى كتابه « البيان فى عد آى القرآن » :

« وأما الفاصلة فهى: الكلام التام المنفصل مما بعده، والكلام التام قد يكون رأس آية، وكذلك الفواصل يكُنَّ رأس آية وغيرها .

فكل رأس آية فاصلة، وليس كل فاصلة رأس آية، فالفاصلة تعم النوعين، وتجمع الضربين »[٢] .

ويقول سيبويه[٣] فى كتابه « الكتاب » فى باب « ما يحذف من أواخر الأسماء فى الوقف وهى الياءات »:

« وجميع ما لا يحذف فى الكلام وما يختار فيه أن لا يحذف يحذف فى الفواصل والقوافى، فالفواصل قول الله عز وجل :

---

(١) الدانى هو: عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموى القرطبى، مقرئ حافظ، محدث، مفسر، ناظم، رحل من الأندلس إلى المشرق، فدخل مصر وحج ورجع إلى الأندلس وتوفى بدانية عام ٦٨٥هـ، من تصانيفه التيسير فى القراءات السبع، وطبقات القراء (تذكرة الحفاظ: ٣/٢٩٨، معجم الأدباء: ١٢/١٢١، معجم المؤلفين: ٦/٢٥٤) .

(٢) البيان فى عد آى القرآن: ١٢٦ ط الكويت .

(٣) سيبويه هو: عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر، أديب نحوى، أخذ النحو والأدب عن الخليل بن أحمد وغيره من كبار العلماء، ورد بغداد وناظر بها الكسائى وتعصبوا عليه، وجعلوا للعرب جعلاً حتى وافقوه على خلافه، من آثاره الكتاب فى النحو، (معجم المؤلفين: ٨/ ١٠) .

﴿ والليل إذا يسر ﴾ (الفجر: ٤) و﴿ ما كنا نبغ ﴾ (الكهف: ٦٤) و﴿يوم التناد﴾[١] (غافر: ٣٢) و﴿ الكبير المتعال ﴾ (الرعد: ٩).

والأسماء أجدر أن تحذف إذا كان الحذف فيها فى غير الفواصل والقوافى »[٢].

وهذا التمثيل من سيبويه هو الذى دعا أبا عمرو الدانى إلى تعريف الفاصلة بما يعم ما جاء فى أثناء الآية، وآخرها، أو دعاه إلى تأكيد ما ارتآه من وجهة نظره.

وقد صرح الدانى بذلك حينما قال:

« ولأجل كون معنى الفاصلة هذا ذكر سيبويه فى تمثيل القوافى: ﴿ يوم يأت[٣] ﴾[٤] و﴿ ما كنا نبغ ﴾، وليسا رأس آية بإجماع مع ﴿ إذا يسر ﴾ وهو رأس آية باتفاق[٥]

وقد رد الجعبرى[٦] على الدانى فى تعريفه للفاصلة، وعلى استشهاده بتمثيل سيبويه للفواصل بقوله:

---

(١) حصل تصحيف فى البرهان والإتقان وغيرهما لهذه الكلمة إلى ﴿يوم يأت﴾ والصحيح ما جاء فى كتاب سيبويه، خاصة أن ما جاء فيه يمثل رأس آية.

(٢) الكتاب: ٤/ ١٨٤، ١٨٥ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ م تحقيق عبدالسلام هارون.

(٣) هود: ١٠٥.

(٤) لقد وصل التصحيف إلى النسخة التى نقل عنها أبو عمرو الدانى، والصحيح ما أثبتناه سابقاً من كتاب «الكتاب» نفسه لسيبويه.

(٥) الإتقان: ٢/ ٩٦، ٩٧.

(٦) الجعبرى هو: إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبرى، الخليلى الشافعى، تقى الدين، برهان الدين، ولد بجعبر، وسكن دمشق مدة ثم ولى مشيخة الخليل إلى أن مات بها عام ٧٣٢هـ، من مؤلفاته كنز المعانى فى شرح حرز الأمانى ونزهة البررة فى القراءات العشر، والإيجاز فى الألغاز (الدرر الكامنة: ١/ ٥٠، مرآة الجنان ٤/ ٢٨٥ ومعجم المؤلفين: ١/ ٦٩).

« وهو خلاف المصطلح، ولا دليل له فى تمثيل سيبويه ﴿ يوم يأت ﴾ و﴿ ما كنا نبغ ﴾ وليسا رأس آية، لأن مراده الفواصل اللغوية لا الصناعية»[١] .

وعلى هذا فيكاد يكون هناك إجماع إن لم نعتبره بالفعل إجماعاً على أن الفاصلة عند العلماء تعنى الكلمة الأخيرة فى الآية .

ولولا التكلف منا، بتحميل كلام الدانى ما لم يحتمله، وتخصيص ما أراد هو من عمومه لكان يمكن لنا أن نوجه كلامه توجيهاً مقبولاً فيقال إن هناك فاصلة داخلية غير الفاصلة التى فى آخر الآية . وهى التى تسمى بالتشريع أو التوأم .

قال عنه السيوطى :

« وأصله أن يبنى الشاعر بيته على وزنين من أوزان العروض، فإذا أسقط منها جزءاً أو جزءين صار الباقى بيتاً من وزن آخر، ثم زعم قوم اختصاصه به .

وقال آخرون: بل يكون فى النثر بأن يكون مبنياً على سجعتين لو اقتصر على الأولى منهما كان الكلام تاماً مفيداً، وإن ألحقت السجعة الثانية كان فى التمام والإفادة على حاله، مع زيادة معنى ما زال من اللفظ .

قال ابن أبى الأصبع[٢] : وقد جاء من هذا الباب معظم سورة الرحمن فإن آياتها لو اقتصر فيها على أولى الفاصلتين دون ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ لكان تاماً مفيداً، وقد كمل بالثانية، فأفاد معنى زائداً من التقرير والتوبيخ .

---

(١) البرهان: ١/١٤٩، والإتقان: ٢/٩٦ .

(٢) ابن أبى الإصبع هو: عبدالعظيم بن عبدالواحد بن ظافر بن عبدالله بن محمد بن جعفر بن الحسن المصرى أديب شاعر ولد بمصر وتوفى بها عام ٦٥٤هـ واشتهر بابن أبى الأصبع المصرى، من مؤلفاته: بدائع القرآن، والكواكب الدرية فى نظم القواعد الدينية والخواطر السوانح فى أسرار الفواتح. (شذرات الذهب ٥/٢٦٥، ومعجم المؤلفين ٥/٢٦٥) .

قلت - أى السيوطى ﷺ : التمثيل غير مطابق، والأولى أن يمثل بالآيات التى فى إثباتها ما يصح أن يكون فاصلة، كقوله تعالى ﴿ **لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً** ﴾ (الطلاق: ١٢) وأشباه ذلك »[١].

أقول : لولا التكلف لقلنا إن الدانى يقصد بكلامه الفاصلة الداخلية، وهذا ما لا أعتقده منه .

وعلى كل حال : فإن مصطلح الفاصلة إذا أطلق بين العلماء فإنهم لا يعنون منه إلا رأس الآية، وبالتالى فإن قول الدانى وتمثيل سيبويه لا يخرقان ما استقر فى أذهان جميع العلماء، وتبادرت إليه تلك الأذهان من أول وهلة حين إطلاق لفظ الفاصلة .

سبب التسمية بالفاصلة

يرى العلماء أن سبب التسمية بالفاصلة يرجع إلى ما جاء فى القرآن نفسه من نحو قوله تعالى ﴿ **ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم** ﴾ (الأعراف: ٥٢) وقوله تعالى ﴿ **فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات** ﴾ (الأعراف: ١٣٣) وقوله تعالى ﴿**كتاب فصلت آياته**﴾ (فصلت: ٣) .

قال ابن منظور: « وأواخر الآيات فى كتاب الله فواصل بمنزلة قوافى الشعر، جل كتاب الله عز وجل، واحدتها فاصلة، إلى أن قال: « وقوله عز وجل : ﴿ **كتاب فصلناه** ﴾ له معنيان أحدهما تفصيل آياته بالفواصل، والمعنى الثانى فى فصلناه : بيناه .

وقوله عز وجل ﴿ **آيات مفصلات** ﴾ بين كل آيتين فصل، تمضى هذه وتأتى هذه، بين كل آيتين مهلة، وقيل مفصلات : مبينات »[٢] .

---

(١) الاتقان: ٢/ ١٠٤ .   (٢) لسان العرب (فصل) .

وقال الزركشى : « فأما مناسبة « فواصل » فلقوله تعالى :

﴿ كتاب فصلت آياته ﴾[١] .

وقال السيوطى : « وتسمى فواصل لأنه ينفصل عندها الكلامان، وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها، وأخذ من قوله تعالى :

﴿ كتاب فصلت آياته ﴾[٢] .

وواضح من تعليلات العلماء هذه، العلاقة الوثقى بين التعريف اللغوى والاصطلاحى للفاصلة .

كما يتضح أيضاً حرص العلماء على التبرك بالتسمية، حينما يجعلون لها أصلاً من القرآن الكريم .

---

(١) البرهان : ١/ ١٥٠ .

(٢) الإتقان : ٢/ ٩٧ .

المبحث الثاني
قدم استخدام مصطلح الفاصلة

من خلال تعليل العلماء السابق لتسمية الفاصلة بهذا الاسم، نستطيع أن نقول إن في القرآن الكريم نفسه إشارة إلي هذه التسمية، وعلي هذا: فالتسمية بها قديمة وليست وليدة نشأة العلوم الإسلامية.

إلى أن جاء هذا العهد ـ عهد نشأة العلوم الإسلامية والعربية ـ فوجدنا هذا اللفظ ـ الفاصلة أو الفواصل ـ بدأ يظهر بجلاء في كلام العلماء.

فهذا هو الخليل بن أحمد[1] المتوفي سنة ١٧٥ هـ يقول في أول معجم عربي، وهو كتابه «العين» في باب العين والجيم والسين، في مادة سجع:

«سجع الرجل إذا نطق بكلام له فواصل، كقوافي الشعر، من غير وزن، كما قيل: «لِصُّها بطلٌ وتمرها دقل[2]»، إن كثر الجيش بها جاعوا، وإن قلوا ضاعوا» يسجع سجعا فهو ساجع، وسَجَّاع وسَجَّاعة.

والحمامة تسجع سجعا: إذا دعت، وهي سجوع وساجعة، وحمام سُجَّع وسواجع»[3].

وها هو سيبويه تلميذ الخليل، يقول في عبارته التي ذكرناها سابقا وهو يمثل للفواصل:

«وجميع ما لا يحذف في الكلام، وما يختار فيه أن لا يحذف يحذف في الفواصل والقوافي».

---

(١) الخليل هو: الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدى البصرى، نحوي لغوي، أول من استخرج العروض توفي بالبصرة عام ١٧٠ هـ، من مصنفاته: العروض، والشواهد، النقط والشكل، الإيقاع والجمل (وفيات الأعيان: ١/ ٢١٦) معجم الأدباء: ١١/ ٧٢، معجم المؤلفين: ٤/ ١١٢).

(٢) الدقل: أردأ أنواع التمر.

(٣) العين: ٢٢٤ ط المجمع العلمي العراقي، تحقيق د/ عبد الله درويش.

ثم يأتي الفراء[١] المتوفى سنة ٢٠٧ هـ، فيستخدم لفظ «فصول» يريد بها رؤوس الآيات.

حيث يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿ **قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين** ﴾ (البقرة: ٦٧) مانصه:

«وهذا في القرآن كثير بغير الفاء، وذلك لأنه جواب يستغنى أوله عن آخره بالوقفة عليه، فيقال: ماذا قال لك؟ فيقول القائل: قال كذا وكذا.

فكأن حسن السكوت يجوز به طرح الفاء، وأنت تراه في رؤوس الآيات - لأنها فصول - حسنا»[٢].

ثم ضرب لذلك مثالا من القرآن بقوله:

من ذلك: ﴿**قال فما خطبكم أيها المرسلون، قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين** ﴾ (الذاريات ٣١، ٣٢).

ثم يأتي الجاحظ[٣] المتوفى سنة ٢٥٥ هـ فيستخدم لفظ الفاصلة مريدا به آخر الآية أيضا، حيث يقول:

«سمى الله كتابه اسما مخالفا لما سمى العرب كلامهم، على الجملة والتفصيل، سمى جملته قرآنا كما سموا ديوانا، وبعضه سورة كقصيدة، وبعضها آية كالبيت، وآخرها فاصلة كقافية.»[٤].

---

(١) الفراء هو: يحيي بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي المعروف بالفراء الديلمي، أبو زكرياء، أديب نحوى، لغوى، مشارك في الفقه والطب وأيام العرب وأشعارها، ولد بالكوفة وانتقل إلى بغداد وصحب الكسائي، توفى في طريق مكة عام ٢٠٧هـ من مولفاته: معانى القرآن، والوقف والابتداء، والمقصور والممدود (وفيات الأعيان لابن خلكان: ٢/ ٣٠١، ومعجم المؤلفين: ١٣/ ١٩٨).

(٢) معانى القرآن للفراء: ١/ ٤٣، ٤٤.

(٣) الجاحظ هو: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني البصري المعتزلي، عالم أديب مشارك فى أنواع من العلوم، ولد بالبصرة، وسمع من أبى عبيدة والأصمعى، وأخذ الكلام عن النظام، وتنسب إليه الفرقة الجاحظية، من تصانيفه: الحيوان، والبيان والتبيين توفى عام ٢٥٥ (تاريخ بغداد ١٢/ ٢١٢ ومعجم المؤلفين ٨/ ٧).

(٤) الإتقان: ١/ ٥.

ثم أتى الزجاج[١] فاستخدم هذا المصطلح فى كتابه «معانى القرآن»، حيث قال: «ورؤوس الآى فواصل»[٢].

فلما كان زمن أبى الحسن الأشعرى[٣] المتوفي سنة ٣٢٤، أراد رحمه الله عدم استخدام شئ في القرآن يكون شبيها بما فى الشعر والسجع، فاستخدم لفظ الفاصلة، وقصرها على القرآن.

قال محمد زغلول سلام عن الأشعرى إنه «قال بنظام الفاصلة ليبتعد بها عن السجع والقافية في الشعر والنثر، ويقصرها على نظم القرآن»[٤].

كذلك فعل أبو بكر بن الأنبارى[٥] المتوفي سنة ٣٢٨ فاستخدم هذا المصطلح، ولكن بلفظ «فصل» كما فعل الفراء من قبله، حيث يقول:

«إن آخر الآية فصلٌ بينها وبين ما بعدها»[٦].

ثم كان الرمانى المتوفى سنة ٣٨٤ هـ، فأشاع استخدام هذا المصطلح،

---

(١) الزجاج هو: إبراهيم بن السرى بن سهل الزجاج، النحوي، اللغوي، المفسر، أقدم أصحاب المبرد قراءة عليه، من كتبه: معاني القرآن، والاشتقاق، العروض، خلق الإنسان، توفى عام ٣١١ هـ. (معجم الأدباء: ١/ ١٣٠، بغية الوعاة للسيوطي: ١٧٩، معجم المؤلفين: ١/ ٣٣.

(٢) معانى القرآن للزجاج: ٥/ ٣٢١ .

(٣) الأشعرى هو: على بن إسماعيل بن إسحاق من نسل أبى موسى الأشعرى ﷺ، تنسب إليه الطائفة الأشعرية، ولد بالبصرة، وسكن بغداد، ورد على الملحدة والمعتزلة والشيعة والخوارج وغيرهم توفى ببغداد عام ٣٣٠ هـ وله مصنفات كثيرة (تاريخ بغداد ١١/ ٣٤٦، معجم المؤلفين: ٧/ ٣٥).

(٤) أثر القرآن في تطور النقد العربي لمحمد زغلول سلام: ٢٤٢، ٢٤٣ ط دار المعارف بمصر.

(٥) الأنباري هو: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار أبو بكر، أديب، نحوي، لغوي مفسر محدث، ولد بالأنبار على الفرات توفى ليلة عيد النحر عام ٣٢٨ هـ، من مؤلفاته: الكافي في النحو، غريب الحديث، الهاءات في كتاب الله عز وجل: (وفيات الأعيان: ١/ ٦٣٧، معجم المؤلفين: ١١/ ١٤٣).

(٦) إيضاح الوقف والابتداء: ١/ ٢٥٩).

وخصص لهذه الفاصلة، في كتابه «النكت فى إعجاز القرآن» فصلا خاصا أسماه «باب الفواصل».

فلما جاء الباقلانى كان لفظ الفاصلة قد شاع وذاع في الوسط العلمي، فشارك من جهته بوضع تعريف خاص بها، وخصص لها مساحة كبيرة من كتابه إعجاز القرآن أثناء حديثه عن نفى السجع من القرآن، وحديثه عن الفرق بين الفواصل والأسجاع.

ثم كان أبو عمرو الدانى المتوفي سنة ٤٤٤ هـ، حيث عرف الفاصلة بتعريف أوسع من كل من قبله ومن بعده، كما مر بنا سابقا، وذهب إلي أنها أعم من رأس الأية، لأنها قد تكون - عنده - رأس آية، وقد تكون في آخر الجملة أثناء الآية.

ثم جاء الخفاجي[١] المتوفي سنة ٤٦٦ هـ فتحدث عنها في كتابه «سر الفصاحة» ورأى أنه لا مانع من إطلاق السجع عليها، وسيأتي قريبا إن شاء الله مزيد تفصيل لكلامه في هذا.

ثم حازم القرطاجني[٢] المتوفي سنة ٦٨٤ وقد نقل عنه العلماء كالزركشي والسيوطي بعض كلامه في هذا أثناء حديثهم عن الفاصلة.

ثم نجم الدين الطوفي[٣] المتوفي سنة ٧١٦ هـ، حيث ألف كتابا في هذا

---

(١) الخفاجي هو: عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي أبو محمد، أديب شاعر، من آثاره (سر الفصاحة)، الذي ادعي فيه أن القرآن معجز بالصرفة، توفي عام ٤٦٦هـ، (هدية العارفين للبغدادى: ١/ ٤٥٢، معجم المؤلفين:-٦/ ١٢٠).

(٢) القرطاجني هو: حازم بن محمد بن حسن الأنصاري القرطاجني أبو الحسن هني الدين عالم في البلاغة والأدب واللغة والعروض، ناثر ناظم، من آثاره: منهاج البلغاء في علمي البلاغة والبيان، توفي عام ٦٨٤هـ (شذرات الذهب: ٥/ ٣٨٧، معجم المؤلفين: ٣/ ١٧٧).

(٣) الطوفي هو: سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم بن سعيد الطوفي الصرصرى البغدادى الحنبلي، نجم الدين، فقيه أصولي، مشارك في أنواع من العلوم ولد بقرية طوفي من أعمال بغداد وقدم الشام ثم مصر وتوفي سنة ٧١٦هـ في فلسطين من تصانيفه الكثيرة الإكسير في قواعد التفسير، ومختصر سنن الترمذي (شذرات الذهب ٦/ ٣٩، معجم المؤلفين: ٤/ ٢٦٦).

الموضوع أسماه «بغية الواصل إلى معرفة الفواصل»(١).

ثم ابن الصائغ(٢) المتوفي سنة ٧٧٦هـ، حيث ألف كتابا في ذلك أيضا أسماه «إحكام الراي في أحكام الآي»(٣).

ثم كثر بعد ذلك من تحدث عن الفاصلة كالزركشي في كتابه «البرهان في علوم القرآن» حيث خصص النوع الثالث لذلك، فقال: «النوع الثالث: معرفة الفواصل ورؤوس الآى».

والسيوطي خصص له النوع التاسع والخمسين بعنوان «فواصل الآى».

وهكذا إلى أن وجد بعض العلماء الذين اهتموا بالتعرض لكل فاصلة في القرآن الكريم، كما فعل الشيخ رضوان المخللاتي(٤)، حينما شرح ناظمة «الزهر» في علم الفواصل للإمام الشاطبي(٥) رحمه الله، في كتاب أسماه «القول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز».

وهو مطبوع الآن متداول، بتحقيق الشيخ عبد الرزاق موسى.

وهكذا يتبين لنا أن استخدام مصطلح الفاصلة قديم جدا منذ نشأة العلوم العربية والإسلامية، بل إن العلماء اعتبروه مستمدا من القرآن الكريم، كما بينا سابقا.

---

(١) يوجد منه نسخة خطية في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض.

(٢) ابن الصائغ هو: محمد بن علي الزمردى شمس الدين، أديب، ناثر، ناظم، لغوي، نحوي فقيه محدث، من مصنفاته الثمر الجني في الأدب السني، وشرح مشارق الأنوار النبوية في الحديث، وشرح ألفيه بن مالك في النحو، توفي بمصر عام ٧٧٦ هـ (حسن المحاضرة للسيوطي ١/ ٢٦٨، ومعجم المؤلفين: ١٠/ ١٤٤).

(٣) انظر الإتقان للسيوطي: ٢/ ٩٩، وكشف الظنون: ١/ ١٨، ٢٥١، ٢/ ١٢٩٣).

(٤) المخللاتى هو: رضوان بن محمد بن سليمان المخللاتي، أبو عيد، مقرئ توفى عام ١٣١١هـ، من تصانيفه: فتح المقفلات، في القراءات، وشفاء الصدور في القراءات السبع، والقول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز، وإرشاد القراء والكاتبين إلى معرفة رسم الكتاب المبين. (معجم المولفين: ٤/ ١٦٥، ١٦٦).

(٥) الشاطبي هو: القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد الرعيني الأندلسي، الشاطبي الضرير أبو القاسم مقرئ، نحوي، مفسر، محدث، ولد بشاطبة شرقى الأندلس، وتوفي في القاهرة عام ٥٩٠ هـ من آثاره: حرز الأماني في القراءات السبع، وناظمة الزهر في أعداد آيات السور (وفيات الأعيان: ١/ ٥٣٤ ومعجم المؤلفين: ٨/ ١١٠).

ترادف مصطلحي الفاصلة ورأس الآية

من خلال تعاريف العلماء السابقة للفاصلة، وحديثهم عنها يتبين لنا بوضوح تام، أن العلماء يطلقون مصطلحي «الفاصلة» و«رأس الآية» على آخر كلمة من الآية.

فقد نقلنا عن الفراء سابقا نصا جاء فيه:

«وأنت تراه فى رؤوس الآيات ـ لأنها فصول ـ حسنا».

كما نقلنا عن الزجاج قوله: «ورؤوس الآى فواصل».

وقال الزركشي أثناء حديثه عن زيادة الألف في قوله تعالى: ﴿وأطعنا الرسولا﴾[1] «وأنكر بعض المغاربة ذلك وقال لم تزد الألف لتناسب رؤوس الآى»[2] وفي كتابه النشر في القراءات العشر يقول ابن الجزرى[3]:

«فالوقف التام أكثر ما يكون في رؤوس الآى وانقضاء القصص»[4]، ويقول أيضا: «والوقف الكافى يكثر في الفواصل وغيرها»[5].

إلى آخر ما نقلناه عن العلماء أثناء الحديث عن تعريف الفاصلة.

بل لقد ظهرت كتب تحمل عنوان رؤوس الآى مثلما ظهرت كتب تحمل عناوين للفواصل، مثل كتاب «رؤوس الآى» لأحمد بن الحسن بن مهران، كما جاء في معجم الأدباء لياقوت الحموي[6].

وعلى هذا يكون هذان المصطلحان مترادفين عند العلماء. للدلالة على آخر كلمة من الآية القرآنية.

---

(١) من سورة الأحزاب، الآية: ٦٦.

(٢) البرهان: ١/١٥٧.

(٣) ابن الجزري هو: محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف العمري الدمشقي، مقرئ محدث، حافظ، مؤرخ، مفسر، فقيه، نحوي، توفي بشيراز عام ٨٣٣ هـ، من مؤلفاته النشر في القراءات العشر، وغاية النهاية في رجال القراءات والرواية. (الضوء اللامع للسخاوى: ٩/٢٥٥، البدر الطالع للشوكاني: ٢/٢٥٧، معجم المؤلفين: ١١/٢٩٢).

(٤) النشر: ١/٢٢٦.

(٥) النشر: ١/٢٢٨.

(٦) أنظر: معجم الأدباء: ٣/١٤.

المبحث الثالث

الطريق لمعرفة الفواصل

تُعْرف الفاصلة بأحد طريقين:

١ - **إما بطريق التوقيف**، بورود حديث في ذلك، كالأحاديث الواردة في شأن آيات معينة، كآية الكرسي، والآيتين الأخيرتين من سورة البقرة، أو آيات سورة الفاتحة في حديث أم سلمة رضي الله عنها، وهي تنعت قراءة رسول الله ﷺ وسنذكره الآن إن شاء الله تعالى.

٢ - **وإما عن طريق القياس**، والقياس هنا يمكن أن يكون عبر الوسائل التالية:[١]

١ - مساواة الآية لما قبلها وما بعدها في الطول والقصر.

٢ - إنقطاع الكلام عندها.

٣ - إجماع العلماء على مثيلتها آية في القرآن الكريم.

٤ - مشاكلة الفاصلة لغيرها مما هو معها في السورة في الحرف الأخير منها، بحيث يكونان متماثلين أو متقاربين.

وعن هذين الطريقين يقول الجعبري رحمه الله:

«ولمعرفتها طريقان، توقيفي وقياسي.

الأول: التوقيفي، روى أبو داود عن أم سلمة[٢] لما سئلت عن قراءة

---

(١) انظر مقدمة كتاب الداني: «البيان في عد آي القرآن» لمحمد الشيباني.

(٢) أم سلمة هي: هند بنت أبي أمية بن المغيرة القرشية المخزومية، أم المؤمنين رضي الله عنها، تزوجها النبي ﷺ، سنة ثلاث، بعد وفاة زوجها ابن عمها أبى سلمة، أسلمت قديما هي وزوجها، وهاجرا إلى الحبشة، ماتت سنة تسع وخمسين، وصلى عليها أبو هريرة (الإصابة ٤/ ٤٥٩).

رسول الله ﷺ قالت: كان يقطع قراءته آية آية، وقرأت ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ إلى ﴿ **الدين** ﴾ تقف على كل آية»(١).

فمعنى «يقطع قراءته آية آية» أى يقف على كل آية، وإنما كانت قراءته ﷺ كذلك ليعلم رؤوس الآى.

ووهم فيه من سماه وقف السنة، لأن فعله عليه السلام إن كان تعبدا فهو مشروع لنا، وإن كان لغيره فلا.

فما وقف عليه عليه السلام دائما تحققنا أنه فاصلة، وما وصله دائما تحققنا أنه ليس بفاصلة، وما وقف عليه مرة، ووصله أخرى احتمل الوقف أن يكون لتعريفهما، أو لتعريف الوقف التام، أو للاستراحة، والوصل أن يكون غير فاصلة، أو فاصلة وصلها لتقدم تعريفها.

الثاني: القياسي، وهو ما ألحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص، لمناسب، ولا محذور في ذلك، لأنه لا زيادة فيه ولا نقصان وإنما غايته أنه محل فصل أو وصل، والوقف على كلمة جائز، ووصل القرآن كله جائز.

فاحتاج القياسي إلى طريق تعرفه، فأقول:

فاصلة الآية كقرينة السجعة، وقافية البيت في النظم، وما يذكر من عيوب القافية من اختلاف الحذو والإشباع والتوجيه فليس بعيب في الفاصلة.

وجاز الإيغال في الفاصلة والقرينة وقافية الأرجوزة من نوع إلى آخر بخلاف قافية القصيد.

---

(١) اخرجه أحمد في المسند ٦/٣٠٢، وأبو داود في سننه كتاب الحروف والقراءات، باب (١) والترمذى في سننه كتاب القراءات، باب فاتحة الكتاب وقال: هذا حديث غريب، والدار قطني في سننه كتاب الصلاة باب وجوب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم، وقال إسناده صحيح وكلهم ثقات، والحاكم في مستدركه ٢/٢٣٢ وقال صحيح علي شرط الشيخين وأقره الذهبي.

ومـن ثـم نرى ﴿ يرجعون ﴾ مع ﴿ عليم ﴾ (آل عمران: ٧٢، ٧٣) و﴿ الميعاد ﴾ مع ﴿ الثواب ﴾ (آل عمران ١٩٤، ١٩٥)، و﴿ الطارق ﴾ مع ﴿ الثاقب ﴾ (الطارق ١ ـ ٣).

والأصل في الفاصلة والقرينة المجردة، في الآية والسجعة المساواة، ومن ثم أجمع العـادون على تـرك عـد ﴿ ويأت بآخرين ﴾ (النساء: ١٣٣)، و﴿ ولا الملائكة المقربون ﴾ (بالنساء: الآية ١٧٢). و﴿كذب بها الأولون﴾ بسبحان (الإسراء: ٥٩) و﴿ لتبشـر به المتقين ﴾ بمريم (الآية: ٩٧) و﴿من الظلمـات إلى النور ﴾ (الطلاق: ١١) و ﴿ أن الله على كـل شئ قـدير ﴾ بالطلاق (الآية: ١٢) حيث لم يشاكل طرفيه.

وعـلى تـرك عـد ﴿ أفغير دين الله يبـغون ﴾ بـآل عمران (الآية: ٨٣) و﴿ أفـحكم الجـاهلية يـبغـون ﴾ بالمائدة (الآيـة: ٥٠)، وعـدوا نظـائرها للمناسبة، نحو ﴿لأولى الألباب ﴾ بآل عمران (الآية ١٩٠) و ﴿ على الله كذبا ﴾ بالكهف (الآية: ١٥) و﴿ والسلوى ﴾ بطه (الآية: ٨٠).

وقد يتوجه الأمران في كلمة فيختلف فيها.

فمنهـا حروف الفواتح، فوجـه عدها استقـلالها على الرفع والنصب، ومناسبة الرَّوى والرِّدف[١]، ووجه عدمـه الاختلاف في الكميـة والتعلق على الجزء.

ومنها بالبقرة ﴿ عذاب أليم ﴾ (الآية: ١٠) و ﴿ إنما نحن مـصلحون ﴾ (الآية: ١١)، فوجه عده مناسبة الروى، ووجه عدمه تعلقه بتاليه[٢].

---

(١) الروى: حرف القافية، أي الحرف الأخير من كل بيت، فيقال قصيدة بائية أو ميمية أو نونية، والرِّدف في الشـعر: حرف ساكن من حروف المد واللين يـقع قبل حرف الروى ليس بينهما شئ مثل المستقيم، انظر القاموس (روى وردف).

(٢) البرهان: ١/ ١٨٧ ـ ١٩٠ باختصار بعض الأمثلة.

المبحث الرابع
مبنى الفواصل على الوقف

المراعي في فواصل القرآن بناؤها على الوقف عليها، لا علي وصلها نطقا بما بعدها، ولذلك لم يراع فيها الموافقة في الإعراب لما قبلها وما بعدها. كما وجدنا الأسجاع ساكنة الأعجاز، ولله ولكتابه المثل الأعلى.

ومعظم الوقف على الفاصلة في القرآن يكون بتسكين الحرف الأخير منها ولهذا نرى مقابلة فاصلة مرفوعة بمجرورة، وكذا العكس، كما في قوله تعالى: ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم** ﴾.

فالأولي مجرورة، والثانية مفتوحة، والثالثة والرابعة مجرورتان، والخامسة مرفوعة، والسادسة منصوبة.

أما إذا انتهت الفاصلة بحرف منصوب منون، فإن الوقف عليها يكون بفتح الحرف الأخير ومده، مثل عليما، بصيرا، مبينا.

وكذلك إذا انتهت الفاصلة بضمير المؤنثة الغائبة، مثل صدر سورة الزلزلة ﴿ **إذا زلزلت الأرض زلزالها، وأخرجت الأرض أثقالها، وقال الإنسان مالها، يومئذ تحدث أخبارها ، بأن ربك أوحى لها** ﴾) فإنه يوقف على هذه الهاء بفتحها مع مدها.

فإذا انتهت الفاصلة بهاء السكت، سكنت هاء السكت، وفتح ما قبلها، كما في سورة الحاقة ﴿ **فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤوا كتابيه، إنى ظننت أنى ملاق حسابيه** ﴾ وقوله بعيدها ﴿ **وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم أوت كتابيه، ولم أدر ما حسابيه، يا ليتها كانت القاضية، ما أغنى عني ماليه ، هلك عني سلطانيه** ﴾.

وكما في سورة القارعة: ﴿ وما أدراك ماهيه ﴾.

أما إذا انتهت بياء المتكلم فإن ياء المتكلم تحذف، ويوقف بالسكون على الحرف الذى قبلها.

مثل قوله تعالى: ﴿ وإياى فارهبون ﴾ (البقرة: ٤٠)، وقوله تعالى ﴿ وإياى فاتقون ﴾ (البقرة: ٤١)، وقوله تعالى: ﴿ فإياى فارهبون ﴾ (النحل: ٥١)، وقوله تعالى: ﴿ لكم دينكم ولي دين ﴾ (الكافرون: ٦).

يقول الزركشي:

«إن مبنى الفواصل على الوقف، ولهذا شاع مقابلة المرفوع بالمجرور وبالعكس، وكذا المفتوح والمنصوب غير المنون.

ومنه قوله تعالى: ﴿ إنا خلقناهم من طين لازب ﴾ الصافات: ١١). مع تقدم قوله: ﴿ عذاب واصب ﴾ (الآية: ٩)، و﴿ شهاب ثاقب ﴾ (الآية: ١٠).

وكذا ﴿ بماء منهمر ﴾ (القمر: ١١) و﴿ قد قدر ﴾ (الآية: ١٢) وكذا: ﴿ وما لهم من دونه من وال ﴾ (الرعد: ١١) و ﴿ وينشئ السحاب الثقال ﴾ (الآية: ١٢).

وعبارة السكاكي قد تعطي اشتراط كون السجع يشترط فيه الموافقة في الإعراب لما قبله، على تقدير عدم الوقوف عليه، كما يشترط ذلك في الشعر، وبه صرح ابن الخشاب[1] معترضا على قول الحريري[2] في المقامة التاسعة والعشرين:

---

(١) ابن الخشاب هو: عبد الله بن أحمد بن أحمد البغدادى، نحوي، لغوي، أديب، محدث، فقيه، مشارك في المنطق والفلسفة والحساب والهندسة، والتفسير والنسب والفرائض توفي في بغداد عام ٥٦٧ من آثاره شرح اللمع لابن جني، والمرتجل في شرح الجمل للجرجاني. (وفيات الأعيان: ١/ ٣٣٥، ومعجم المؤلفين: ٦/ ٢٠).

(٢) الحريري هو: القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريزي البصري، الحرامي، سكن محلة بنى حرام بالبصرة، وتوفي في البصرة عام ٥١٦ هـ، من آثاره: المقامات، درة الغواص في أوهام الخواص (وفيات الأعيان: ١/ ٥٣٠، معجم الأدباء: ١٦/ ٢٦١، معجم المؤلفين: ٨/ ١٠٨).

يا صارفا عني المـ ـودة والزمانُ له صروفْ
ومعنّفِي في فضح مَنْ جاوزت تعنيف العسوفْ
لا تَلْحَنِي فيما أتيـ ـتُ فإنني بهم عروفْ
ولقد نزلت بهم فلم أرهم يراعون الضيوفْ
وبلوتهم فوجدتهم لما سبكتهم زيوفْ

ألا ترى أنك إذا أطلقت ظَهَرَ الأول والثالث مرفوعين، والرابع والخامس منصوبين، والثاني مجرورا، وكذا باقي القصيد.

والصواب أن ذلك ليس بشرط لما سبق.

ولا شك أن كلمة الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الأعجاز موقوفا عليها، لأن الفرض المجانسة بين القرائن والمزواجة، ولا يتم ذلك إلا بالوقوف، ولو وصلت لم يكن بُدٌّ من إجراء كل القرائن على ما يقتضيه حكم الإعراب، فَعَطَّلْتَ عمل الساجع، وفَوَّتَّ غرضهم.

وإذا رأيتهم يخرجون الكلم عن أوضاعها لغرض الازدواج، فيقولون: «آتيك بالغدايا والعشايا» مع أن فيه ارتكابا لما يخالف اللغة، فما ظنك بهم في ذلك؟»(١).

وهذا الذي قاله الزركشي متأثر فيه بما قاله ابن القيم(٢) في كتابه الفوائد، حيث يقول رحمه الله:

---

(١) البرهان: ١/١٦٣، ١٦٤.

(٢) ابن القيم هو: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي ثم الدمشقي الحنبلي، أبو عبد الله، فقيه أصولي مجتهد مفسر متكلم، نحوي محدث، لازم ابن تيمية وسجن معه في قلعة دمشق توفي عام ٧٥١ هـ، ودفن بدمشق، من تصانيفه زاد المعاد في هدي خير العباد، إعلام الموقعين، الجيوش الإسلامية على حرب المعطلة والجهمية (الدرر الكامنة لابن حجر ٣/ ٤٠٠، النجوم الزاهرة لابن تغرى -١/٢٤٩، معجم المؤلفين ٩/١٠٦.

«قال علماء علم البيان:

الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الأعجاز، موقوفا عليها، لأن الغرض أن يجانس بين القرائن، ويزواج بينها، ولا يتم ذلك إلا بالوقوف.

ألا ترى أنك لو وصلت قوله: «ما من عزة إلا وإلى جنبها عزه» وقوله: «ما أبعد ما فات وما أقرب ما هو آت» لم يكن بد من إجراء كل الفقرات على ما يقتضيه حكم الإعراب فتكون قد عطلت عمل الساجع وقوة عزمه.

وإذا رأيتهم يخرجون الكلم عن أوضاعها من الازدواج، فيقولون: «أتيتك بالغدايا والعشايا» و «هنانى الطعام ومرأنى» و«أخذه ما حدث وما قدم» مع أن فيه ارتكاب ما يخالف اللغة، فما ظنك بهم في ذلك؟»[١].

(١) الفوائد المشوق: ٢٢٢، بشئ من الاختصار.

المبحث الخامس
فوائد الفاصلة

للفاصلة القرآنية، مزايا عديدة، نقتصر منها على ما يأتي:

(١) الفاصلة تفيدنا في معرفة **كيفية التلاوة، وحسن تجويد** القرآن، وقد مر بنا حديث أم سلمة قريبا، وهي تصف لنا كيفية تلاوة النبي ﷺ.

(٢) الفاصلة تفيد في معرفة الوقف:

وإذا علمنا أن من فوائد الوقف معرفة المعاني، واستخراج الأحكام، والتمييز بين المعاني المتضادة، علمنا مدى أهمية الفاصلة.

قال ابن الأنباري: «من تمام معرفة القرآن معرفة الوقف والابتداء»(١).

وقال النكزاوي(٢): «باب الوقف عظيم القدر، جليل الخطر، لأنه لا يتأتي لأحد معرفة معاني القرآن، ولا استنباط الأدلة الشرعية منه إلا بمعرفة الفواصل»(٣).

وقال ابن الجزري:

«لما لم يمكن القارئ أن يقرأ السورة أو القصة في نفس واحد، ولم يجز التنفس بين كلمتين، حالة الوصل، بل ذلك كالتنفس في أثناء الكلمة، وجب حينئذ اختيار وقفة للتنفس والاستراحة، وتحتم أن لا يكون ذلك مما يحيل المعنى، ولا يخل بالفهم، إذ بذلك يظهر الإعجاز، ويحصل القصد»(٤).

---

(١) الاتقان: ١/ ٨٣.

(٢) النكزاوى هو: عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر النكزاوى، المدنى الأنصارى، الاسكندراني، معين الدين، أبو محمد، مقرئ، نحوي، ولد بالإسكندرية، وقرأ بها القراءات، من مؤلفاته: الكامل في القراءات، والاقتضاء في معرفة الوقف والابتداء. (حسن المحاضرة: ١/ ٢٨٨، بغية الوعاة: ٢٨٨، معجم المؤلفين: ٦/ ١٢٩).

(٣) الاتقان: ١/ ٨٣.

(٤) النشر: ١/ ٢٢٤، ٢٢٥.

٣ ـ الفاصلة تفيدنا في معرفة عد الآيات:

وعد الآيات مطلوب في نواح عدة، منها:

الحصول على الثواب الموعود به أو دفع الضرر على قراءة آيات معينة، كأواخر البقرة وعشر آيات من أول الكهف، وعشر آيات من آخرها، وغيرها.

ـ في معرفة عد الآيات حث للمسلمين على حفظ القرآن، فإذا علم الإنسان أنه حفظ من السورة عددا معينا من الآيات، كان ذلك دافعا إلى استكمالها، فإذا أكملها شرع في أخرى وهكذا.

إلى غير ذلك من فوائد العد، والذي من أجله ألفت عشرات الكتب.

وسنذكر منها الآن إن شاء الله بعد هذه الفوائد ثلاثين كتابا.

٤ ـ الفواصل تنشط القارئ في قراءته، فهي أشبه بمحطات استراحة على طريق المسافر، فحينما يستريح في كل محطة يجد نشاطا على مواصلة السفر، حتى النهاية.

قال الزركشي: «وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب»(١).

٥ ـ وكما أن الفواصل تنشط القارئ وتدفع عنه الملل، فهى كذلك بالنسبة للسامع.

٦ ـ للفاصلة دور كبير في إظهار الإعجاز القرانى، إذ هي في غاية الصلة بمعنى الآية التي ذيلت بها، وسيتضح ذلك إن شاء الله حينما نتحدث قريبا عن «مناسبة الفاصلة لمعنى الآية».

وإذا كان للفاصلة هذا الدور الكبير في قضية الإعجاز، فكفى بها من فائدة جليلة.

---

(١) البرهان: ١/ ١٥٠.

٧ـ **الفاصلة تعين القارئ على تحسين صوته**، خاصة إذا علمنا أن أكثرها ينتهى بحروف المد واللين، والميم أو النون.

وهذه المعطيات المتلائمة مع جو الآية ومعناها توثر في القلب بما لا يتأثر بغيرهما.

قال الزركشي: «قد كثر في القرآن الكريم، ختم كلمة المقطع من الفاصلة بحروف المد واللين، وإلحاق النون، وحكمته وجود التمكن من التطريب بذلك»(١).

وقال الرافعي طيب الله ثراه:

«وما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن إلا صورا تامة للأبعاد، التي تنتهي بها جمل الموسيقى، وهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقا عجيبا، يلائم نوع الصوت والوجه الذي يساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب»(٢).

ثم يقول: «ومما انفرد به القرآن وباين سائر الكلام، أنه لا يخلق على كثرة الرد، وطول التكرار، ولا تحل منه الإعادة، وكلما أخذت فيه على وجهه الصحيح ـ فلم تخل بأدائه ـ رأيته غَضًا طرِيًا، وجديدا مونقا، وصادفت من نفسك له نشاطا مستأنفا وحسا موفورا.

فأيما امرؤ سمعه أو فهمه أحبه، وسَوَّغَهُ من شعوره ونفسه، فمن أين تدخل الكراهة على النفس، ولا سبيل إليها في الكلام إلى السمع والفؤاد؟»(٣).

---

(١) البرهان: ١/ ١٦٣.

(٢) إعجاز القرآن: ٢١٦.

(٣) المصدر السابق: ٢١٨، ٢١٩ باختصار.

المبحث السادس
مؤلفات خاصة بعدد فواصل الآى

لم يكن غـريبا على علمـاء المسلمين، ولا كـثيـرا على كتـاب الله رب العالمين، أن يهتم كـثير من العلماء بعد آيات كل سورة على حـدة، وتمييز فاصلة كل آية.

ولقد وجدنا لعلماء المسلمين رحمـهم الله جهودا بارعة في ذلك، حيث ألفوا مصنفـات خاصة بعد آيات القرآن كلـه، . . . ومن هذه المصنفات ما يلي: *

١ ـ كتاب العدد (عن أهل مكة) لعطاء بن يسار (ت: ١٠٣ هـ)[١]

٢ ـ كتـاب في العدد (عن أهل الشام) لخـالد بن معدان الحـمصي (ت ١٠٣ هـ)[٢]

٣ ـ كتاب العدد (عن أهل البصرة، للحسن البصري (ت ١١٠ هـ)[٣]

٤ ـ كتاب عواشر القرآن، لقتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٧ هـ)[٤]

٥ ـ كتاب عدد الآى والأجزاء (عن أهل البصرة) لعاصم الجحدري (ت ١٢٨ هـ)[٥]

٦ ـ كتاب العدد (عن أهل الشام) لـيحيي بن الحارث الذماري (ت١٤٥ هـ)[٦]

---

* انظر في ذلك مقدمة «البيـان في عد آي القرآن» للداني، كتبها محـققه د/ غانم قدورى الحمد.

(١) الفهرست: ٤٠ (٢) الفهرست: ٤٠.

(٣) الفهرست: ٤٠ (٤) الطبقات الكبرى لابن سعد: ٧/ ٢٧٣.

(٥) الفهرست: ٤٠ (٦) الفهرست: ٤٠

٧ - كتاب العدد (عن أهل الكوفة) لحمزة بن حبيب الزيات (ت١٥٦ هـ)[١]

٨ - كتاب عدد المدنى الأول، لنافع بن عبد الرحمن المدني (ت١٦٩هـ)[٢]

٩ - كتاب عدد المدني الثاني، لنافع بن عبد الرحمن المدني (ت ١٦٩هـ)[٣]

١٠ - كتاب عواشر القرآن، لنافع بن عبد الرحمن المدني (ت١٦٩هـ)[٤]

١١ - كتاب في عدد المدني الأخير، لإسماعيل بن جعفر بن أبى كثير المدنى (ت ١٨٩ هـ)[٥]

١٢ - كتاب العدد (عن أهل الكوفة) لعلي بن حمزة الكسائي (ت١٨٩هـ)[٦]

١٣ - كتاب اختلاف العدد على مذهب الشام وغيرهم، لوكيع بن الجراح (ت ١٩٦هـ)[٧]

١٤ - كتاب عدد آى القرآن لأبى عبيد، القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ)[٨]

١٥ - كتاب العدد (عن أهل الكوفة) لخلف بن هشام (ت٢٢٩هـ)[٩].

١٦ - كتاب عدد القرآن على عدد المدنى الأول لعبدالرحمن المصرى (ت٢٣١هـ)[١٠].

١٧ - كتاب فى العدد (عن أهل البصرة) لمحمد بن عيسى (ت٢٥٣هـ)[١١].

---

(١) الفهرست: ٤٠

(٢) الفهرست: ٤٠.

(٣) الفهرست: ٤٠

(٤) الفهرست: ٤٠

(٥) الفهرست: ٤٠

(٦) الفهرست: ٤٠.

(٧) الفهرست: ٤٠

(٨) معجم الأدباء للحموى ١٣/ ٢٠٢.

(٩) الفهرست: ٤٠

(١٠) غاية النهاية لابن الجزرى: ٢/ ٢٧٥.

(١١) الفهرست: ٤٠.

١٨ - كتاب اختلاف العدد، لأحمد بن جعفر البغدادى المعروف بابن المنادى (ت٣٣٦هـ)[١] .

١٩ - كتاب اختلاف عدد السور لأحمد بن الحسين أبى بكر النيسابورى (ت٣٨١هـ)[٢] .

٢٠ - كتاب رؤس الآى لأحمد بن الحسين أبى بكر النيسابورى (ت٣٨١هـ)[٣] .

٢١ - كتاب فى عدد سور القرآن وآياته وكلماته لعمر بن محمد بن عبدالكافى (ت٤٠٠هـ)[٤] .

٢٢ - كتاب فى تنزيل القرآن وعدد آياته، واختلاف الناس فيه، عن أبى زرعة عبدالرحمن بن زنجلة المقرئ (القرن الرابع الهجرى)[٥] .

٢٣ - كتاب عدد آى القرآن على مذهب أهل البصرة، لأبى العباس الكيال البصرى (القرن الرابع)[٦] .

٢٤ - كتاب آى القرآن لأبى جعفر بن عمر الطبرى النحوى (القرن الرابع)[٧] .

٢٥ - كتاب الاختلاف فى عدد الأعشار لمكى بن أبى طالب (ت٤٣٧)[٨] .

---

(١) طبقات المفسرين للداودى: ١/ ٣٤ .
(٢) معجم الأدباء: ٣/ ١٣ .
(٣) معجم الأدباء ٣/ ١٤ .
(٤) تاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين ١/ ١٦٨ .
(٥) مخطوط فى مكتبة المجمع العلمى العراقى .
(٦) تاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين ١/ ١٦٨ .
(٧) تاريخ التراث العربى: ١/ ١٦٩ .
(٨) معجم الأدباء ١٩/ ١٦٩ .

٢٦ ـ البيان فى عد آى القرآن للدانى (ت٤٤٤هـ)[١] .

٢٧ ـ قصيدة فى عدد الآى، لأحمد بن على سنجر الصوفى (ت٤٧٦هـ)[٢] .

٢٨ ـ كتاب العدد لعبدالكريم بن عبدالصمد، أبى معشر الطبرى (ت٤٧٨هـ)[٣] .

٢٩ ـ ناظمة الزَّهَر فى أعداد آيات السور للشاطبى (ت٥٩٠هـ)[٤] .

٣٠ ـ كتاب عدد الآى، لأبى البقاء العكبرى (ت٦١٦هـ)[٥] .

إلى غير ذلك من هذه الكتب .

---

(١) مطبوع متداول من قبل مركز المخطوطات بالكويت .

(٢) غاية النهاية لابن الجزرى: ١/ ٨٥ .

(٣) غاية النهاية: ١/ ٤٠١ .

(٤) هدية العارفين للبغدادى: ١/ ٨٢٨ .

(٥) طبقات المفسرين للداودى: ١/ ٢٢٥ .

الفصل الثانى

أنواع الفواصل

﴿ الفصل الثانى ﴾

أنواع الفواصل

من حيث الروى، والوزن، والطول والقصر

تتنوع الفاصلة القرآنية من حيث الروى، والوزن، والطول والقصر إلى عدة أنواع . وسنفرد لكل ناحية قدراً من الكلام، بإيجاز، على النحو التالى :

أولا: أنواع الفواصل من حيث الروى

والروى - كما قال الفيروز آبادى وغيره - هو : حرف القافية [١] .

والفواصل من حيث اتفاقها فى الحرف الأخير تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : ما تماثلت حروف رويها .

الثانى : ما تقاربت حروف رويها .

الثالث : ما لم تتماثل حروف رويها ولم تتقارب أيضاً .

أما القسم الأول : وهو ما تماثلت حروف رويها، فتسمى فواصل متماثلة. ومن أمثلته :

(أ) قوله تعالى : ﴿ **والطور، وكتاب مسطور، فى رق منشور، والبيت المعمور** ﴾(الطور: ١ - ٤) .

(ب) وقوله تعالى : ﴿ **والعاديات ضبحا، فالموريات قدحا، فالمغيرات صبحا** ﴾ (العاديات: ١ - ٣) .

أما القسم الثانى : وهو ما تقاربت حروف روى فواصله، فإنه لا يسمى سجعاً، حتى عند القائلين به فى القرآن، وتسمى فواصله متقاربة ومن أمثلته ما يأتى :

---

(١) القاموس المحيط: (روى) .

2-

(أ) قوله تعالى : ﴿ الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم ﴾ السورة .

(ب) وقوله تعالى : ﴿ فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب، ومن الليل فسبحه وأدبار السجود ﴾ (سورة ق: ٣٩، ٤٠) .

(جـ) وقوله تعالى: ﴿ أتواصوا به بل هم قوم طاغون، فتول عنهم فما أنت بملوم ﴾ (الذاريات: ٥٢، ٥٣) .

أما القسم الثالث وهو الفواصل غير المتماثلة وغير المتقاربة، فمثالها :

(أ) قوله تعالى: ﴿ وأما السائل فلا تنهر، وأما بنعمة ربك فحدث ﴾ (الضحى: ١٠، ١١) .

(ب) وقوله تعالى: ﴿ سندع الزبانية، كلا لا تطعه واسجد واقترب ﴾ (العلق: ١٨، ١٩) .

وهذا النوع فى القرآن فى غاية الندرة .

ثانياً : أنواع الفاصلة من حيث الوزن

والمراد بالوزن هنا: الوزن العروضى لا الصرفى، لأن الوزن الصرفى يراعى فيه مقابلة كل حركة بمثلها، فالفتحة تقابلها فتحة، وكذا الضمة والكسرة، أما الوزن العروضى، فلا يراعى فيه نوع الحركة وإنما يراعى فيه مقابلة متحرك بمتحرك، أيا كانت حركته، ومقابلة ساكن بساكن، سواء أكان الحرف أصلياً أم زائداً .

وقد قسم علماء البديع السجع، ومثله فواصل القرآن - من حيث الوزن - خمسة أقسام .

١ - المتوازى . ٢ - والمطرف .

٣ ــ والمتوازن .　　　　٤ ــ والمرصع .

٥ ــ والمتماثل .

فالمتوازى : وهو أشرفها : أن تتفق الكلمتان فى الوزن والحرف الأخير (الروى) ولم يكن ما فى كلام الأولى مقابلاً لما فى كلام الثانية فى الوزن والروى .

مثاله : (أ) قوله تعالى : ﴿ **فيها سرر مرفوعة، وأكواب موضوعة** ﴾ (الغاشية الآيتان: ١٣، ١٤) .

(ب) وقوله تعالى: ﴿ **فأمه هاوية، وما أدراك ماهيه، نار حامية** ﴾ (القارعة: ٩ ـ ١١) .

أما المُطَرَّف : فهو ما اتفقت فيه الفاصلتان فى حرف الروى، دون الوزن، ومن أمثلته :

(أ) قوله تعالى : ﴿ **تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شيء قدير** ﴾[1] الآيات، ففاصلة الآية الأولى (قدير)، والثانية (الغفور) والثالثة (فطور) والرابعة (حسير) والخامسة (السعير) وهكذا حتى الفاصلة (رقم ٢١). فكلها تنتهى بحرف الراء، ولكنها تختلف فى الوزن.

(ب) وقوله تعالى: ﴿ **ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود، لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد** ﴾ (سورة ق: ٢٤، ٢٥) .

أما المتوازن : فهو ما اتفقت فيه الفاصلتان فى الوزن فقط .

ومن أمثلته ما يأتى :

(أ) قوله تعالى : ﴿ **فاصبر صبراً جميلاً، إنهم يرونه بعيداً، ونراه قريباً** ﴾ (المعارج : ٥ ـ ٧) .

(ب) وقوله تعالى: ﴿ **ونمارق مصفوفة، وزرابى مبثوثة** ﴾ (الغاشية: ١٥، ١٦) .

---

(١) سورة الملك: ١ ـ ٢١ .

أما المرصع : فهو أن تتفق الفاصلتان وزناً ورويا، ويكون ما فى الأولى مقابلاً لما فى الثانية، أى قرائن كل منهما متقابلة[(١)] .

مثاله قوله تعالى : ﴿ **إن إلينا إيابهم، ثم إن علينا حسابهم** ﴾ (الغاشية: ٢٥، ٢٦) .

أما المماثل : فهو أن يتساويا فى الوزن دون الروى، وتكون أفراد الأولى مقابلة لما فى الثانية .

مثاله قوله تعالى ﴿ **وآتيناهما الكتاب المستبين، وهديناهما الصراط المستقيم** ﴾ (الصافات : ١١٧، ١١٨) .

فالكتاب والصراط متوازنان، وكذلك الفاصلتان : (المستبين، والمستقيم) ولكنهما يختلفان فى حرف الروى .

ثالثاً : أنواع الفاصلة من حيث الطول والقصر

والحديث هنا ينحصر فى :

(أ) طول فقرة الفاصلة ذاتها، بدون النظر إلى القرينة الثانية والثالثة.

(ب) طول القرينة بالنظر إلى القرينة الثانية والثالثة .

(ج) طول الفاصلة من حيث مقدارها من الآية .

أما من حيث طول الفقرة ذاتها

فالنظرة من هذه الحيثية تنقسم إلى ثلاثة أقسام .

١ ــ قصير .

٢ ــ وطويل .

٣ ــ ومتوسط .

---

(١) المراد بالقرينة عند علماء البديع: القطعة من الكلام جعلت مزاوجة للأخرى والقرينتان فى النثر. بمنزلة البيت من الشعر، ويطلق عليها أيضاً فقرة .

أما القصير : فهو ما كانت فقرته قصيرة، وأقصر القصار ما كان فى الحروف المقطعة، ثم ما كان من لفظ واحد، مثل: الرحمن، الحاقة، القارعة، ثم ما كان من لفظين مثل: والصافات صفاً، ونحوها .

قال ابن القيم: « وأطول الفقرات القصار، ما يكون من عشر لفظات، وما بين هذين فمتوسط »[١] ، أى ما بين أقصر الفقرات القصار وأطول الفقرات القصار .

وقد اعتبر ابن القيم أن أقصر القصار ما كان من لفظين، كقوله تعالى **﴿والعاديات ضبحاً﴾**[٢] وأرى أن الصحيح ما ذكرته من أن أقصر القصار، ما كان فى الحروف الهجائية، ثم ما كان من لفظ واحد، فإن العلماء عدوا الحروف الهجائية فى بعض السور آية مستقلة، كما عدوا **﴿ الرحمن ﴾** و**﴿القارعة﴾** و**﴿ الحاقة ﴾** و**﴿ مدهامتان ﴾** . آيات مستقلة .

أما الطويل : فقد قال عنه ابن القيم رحمه الله :

« فأقصره ما كان من إحدى عشرة لفظة، وأطولها غير مضبوط، وكلما طالت الفقر زاد بيانها وإفصاحها .

وقد وقع فى الفقر المطولة ما هو من عشرين لفظة، فما حولها، مثل قوله تعالى : **﴿ إذ يريكهم الله فى منامك قليلاً ولو أراكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم فى الأمر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور، وإذ يريكموهم إذ التقيتم فى أعينكم قليلاً ويقللكم فى أعينهم ليقضى الله أمراً كان مفعولاً وإلى الله ترجع الأمور ﴾** (سورة الأنفال: ٤٣، ٤٤) .

ومثاله فيما دون ذلك قوله تعالى :

﴿ ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور، ولئن

---

(١) الفوائد المشوق : ٢٢١ . (٢) الموضع السابق .

أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عنى إنه لفرح فخور﴾ (هود: ٩، ١٠) .

وقوله تعالى: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم، فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم﴾[1] (التوبة: ١٢٨، ١٢٩) .

أما المتوسط : فما كان بين القصير والطويل .

طول القرينة
بالنظر إلى القرينة الثانية والثالثة

أما من حيث طول القرينة بالنظر إلى القرينة الثانية والثالثة :

فإما أن تكون القرائن كلها متساوية فى عدد الكلمات، بصرف النظر عن عدد الحروف، وإما أن تكون مختلفة .

فمثال ما كانت فيه القرائن متساوية، ما يأتى :

١ ـ قوله تعالى : ﴿وإلى السماء كيف رفعت، وإلى الجبال كيف نصبت، وإلى الأرض كيف سطحت﴾ (الغاشية: ١٨ ـ ٢٠) .

٢ ـ وقوله تعالى : ﴿والقمر إذا تلاها، والنهار إذا جلاها، والليل إذا يغشاها﴾ (الشمس: ٢ ـ ٤) .

٣ ـ وقوله تعالى : ﴿والعاديات ضبحاً، فالموريات قدحاً، فالمغيرات صبحاً﴾ (العاديات: ١ ـ ٣) .

أما إذا كانت القرائن مختلفة فإننا سنجدها على النحو التالى :

(أ) **أن تكون الأولى أقصر الثلاث** ، والثانية والثالثة متساويتين أو إحداهما أطول من الأخرى، كما فى الأمثلة الآتية :

---

(١) الفوائد المشوق : ٢٢١ .

١ ـ ﴿ **والقرآن الحكيم، إنك لمن المرسلين، على صراط مستقيم** ﴾ (يس: ٢ ـ ٤) ، فالأولى أقصرهن، بينما الثانية والثالثة متساويتان .

٢ ـ ﴿ **حم، تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير** ﴾ (غافر: ١ ـ ٣) فالأولى أقصرهن، بينما الثالثة أطول من الثانية .

٣ ـ ﴿ **نذيرا للبشر، لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر، كل نفس بما كسبت رهينة** ﴾ (المدثر: ٣٦ ـ ٣٨) .

فالأولى أقصرهن، بينما الثانية أطول من الثالثة .

(ب) أن تكون الثانية أقصر الثلاث

والأولى والثالثة متساويتين، أو إحداهما أطول من الأخرى كما فى الأمثلة التالية :

١ ـ ﴿ **قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد** ﴾ (الإخلاص: ١ـ٣) فالثانية أقصرهن بينما الأولى والثالثة متساويتان .

﴿ **بل تؤثرون الحياةالدنيا ، والآخرة خيروأبقى ، إن هذا لفى الصحف الأولى** ﴾ (الأعلى : ١٦-١٨) فالثانية أقصرهن والثالثة أطول من الأولى .

٣ ـ ﴿ **أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون، أو يأخذهم فى تقلبهم فما هم بمعجزين، أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرؤوف رحيم** ﴾ (النحل: ٤٥ ـ ٤٧) .

فالثانية أقصرهن، بينما الأولى أطول من الثالثة .

(جـ) أن تكون الثالثة أقصر الثلاث

والأولى والثانية متساويتين، أو إحداهما أطول من الأخرى، كما فى الأمثلة التالية :

١ ـ ﴿ **وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين، فأسقط علينا**

كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين، قال ربى أعلم بما تعملون ﴾ (الشعراء: ١٨٦ - ١٨٨) .

فالثالثة أقصرهن، والأولى والثانية متساويتان .

٢ - ﴿ الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، قيماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً، ماكثين فيه أبداً ﴾ (الكهف: ١ - ٣) .

فالثالثة أقصرهن، والثانية أطول من الأولى .

٣ - ﴿ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة، رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة، فيها كتب قيمة ﴾ (البينة: ١ - ٣) .

فالثالثة أقصرهن، والأولى أطول من الثانية .

أما طول الفاصلة
من حيث مقدارها من الآية

فالناظر للفاصلة من هذه الحيثية يتبين له ما يأتى :

(أ) أن هناك فواصل تكون آية مستقلة، وذلك فيما يلى :

١ - الحروف الهجائية التى افتتحت بها بعض السور مثل : ﴿الم﴾، ﴿طه﴾، ﴿طسم﴾ ، ﴿يس﴾، ﴿حم﴾، ونحوها .

٢ - فى بداية بعض السور مثل: (الرحمن)، الحاقة)، (القارعة) .

٣ - ما ورد فى ثنايا سورة الرحمن ﴿مدهامتان﴾ (الآية: ٦٤) .

(ب) فواصل تكون بعض آية .

وهى من ناحية معناها، وتعلقها بمعنى آياتها لها صور متعددة، كما سنذكره إن شاء الله فى فصل مناسبة الفاصلة لمعنى الآية .

هذا وقد تكلم العلماء والأدباء عن أحسن الفواصل والسجع، ولهم فى ذلك أذواق مختلفة، ومشارب شتى . . . ونحن نقتصر فى هذا المقام على عبارتين، إحداهما للإمام ابن القيم والأخرى للزركشى، رحمهما الله تعالى .

يقول ابن القيم: « والفقرات المسجوعة[(١)] إما أن تكون متساوية أولا .

أما المتساوية: ففى الأكثر إنما توجد فى الفقرات القصار، كما فى قوله تعالى ﴿ **فأما اليتيم فلا تقهر، وأما السائل فلا تنهر** ﴾ (الضحى: ٩، ١٠).

وأما المختلفة: فاختلافها إما أن يكون فى فقرتين أو أكثر .

أما المختلفة فى فقرتين: فالأحسن أن تكون الثانية أزيد من الأولى، ولا تزيد بقدر كثير .

كقوله تعالى: ﴿ **وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً، إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً، وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبورا** ﴾ (الفرقان: ١١ ـ ١٣) .

وكذلك قوله تعالى: ﴿ **وقالوا اتخذ الرحمن ولدا، لقد جئتم شيئاً إداً، تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً** ﴾ (مريم: ٨٨ ـ ٩٠) .

وأما المختلف فى أكثر من فقرتين: فأحسنه أن تكون الفقرة الثالثة زائدة، والأوليان متساويتان، أو الثانية منه أزيد يسيراً .

وأقل السجع حسناً ما يكون المتأخر من الفقرات أقل مما قبلها »[(٢)] .

ويقول الزركشى ـ نقلاً عن بعض المغاربة ـ :

« وأحسن السجع ما تساوت قرائنه، ليكون شبيهاً بالشعر، فإن أبياته متساوية، كقوله تعالى: ﴿ **فى سدر مخضود، وطلح منضود، وظل**

---

(١) يلاحظ أن ابن القيم، ممن لا يتورعون عن إطلاق لفظ السجع على الفاصلة .

(٢) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ٢٢١, ٢٢٢ ط مكتبة القرآن.

ممدود﴾ (الواقعة: ٢٨ - ٣٠) .

وعلته أن السمع ألف الانتهاء إلى غاية فى الخفة بالأولى، فإذا زيد عنها ثقل عنه الزائد، لأنه يكون عند وصولها إلى مقدار الأول كمن توقع الظفر بمقصوده .

ثم ما طالت قرينته الثانية، كقوله : ﴿ **والنجم إذا هوى، ما ضل صاحبكم وما غوى** ﴾ (النجم: ١، ٢) .

والثالثة، كقوله تعالى: ﴿ **خذه فغلوه، ثم الجحيم صلوه، ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه** ﴾[1] (الحاقة: ٣٠ - ٣٢) .

أقول: ما قاله ابن القيم وما نقله الزركشى عن بعض المغاربة، وما يقوله غيرهم عن أحسن السجع، واختلافهم فى أيه أحسن، إنما يتطبق على سجع البشر، وكلامهم، أما القرآن الكريم، فليس بسجع كما ليس بشعر، ولا ينطبق على فواصله ما ينطبق على السجع، فهو أسلوب فريد، أعجز الله به الخلق أجمعين .

فكل القرائن التى جاءت مع الفواصل إنما جاءت فى غاية الحسن والإعجاز، رغم مجيئها على صور شتى، على عكس ما يدعيه ابن القيم وغيره من أن أحسن السجع ما كان على صورة كذا، ثم ما كان على صورة كذا. . .

---

(١) البرهان ١/ ١٦٩.

الفصل الثالث

هل الفاصلة القرآنية سجع؟

[illegible]

[illegible]

«الفصل الثالث»

هل الفاصلة القرآنية سجع؟

وهنا يبدو سؤال في منتهى القوة، ألا وهو: هل الفاصلة القرآنية سجع أم لا؟

وحول الإجابة عن هذا السؤال، وجدنا العلماء ينقسمون إلى فريقين:

١ - **الفريق الأول** - ونستطيع أن نقول إنه يمثل جمهور العلماء خاصة علماء علم الكلام - يقول إن الفاصلة ليست سجعا.

ويأتى على رأس هذا الفريق أبو الحسن الأشعرى، حيث نفى السجع عن القرآن في غير موضع من كتبه (١)، وأبو بكر الباقلاني من الأشاعرة أيضا، حيث عقد في كتابه «إعجاز القرآن» فصلا خاصا بعنوان: «نفى السجع من القرآن»، وعلى بن عيسى الرمانى، من المعتزلة، في كتابه «النكت في إعجاز القرآن».

٢ - **أما الفريق الثاني**: فيقول إن القرآن فيه سجع، ومنه فواصل الآيات القرآنية، ومعظم هذا الفريق من المدرسة الأدبية. ويأتي على رأس هذا الفريق: أبو هلال العسكرى (٢)، صاحب كتاب الصناعتين، وأبو يعقوب السكاكي (٣)، وابن الأثير، وحازم القرطاجني، وابن القيم.

---

(١) كما صرح بذلك أبو بكر الباقلاني في كتابه إعجاز القرآن: ٧٦.

(٢) أبو هلال العسكرى هو: الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد ت٣٩٥، لغوى أديب شاعر مفسر، من تصانيفه كتاب الصناعتين في النظم والنثر، والمحاسن في تفسير القرآن، جمهرة الأمثال، معاني الأدب (بغية الوعاة للسيوطي: ٢٢١، معجم المؤلفين: ٣/ ٢٤٠).

(٣) السكاكي هو: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن على السكاكى الخوارزمى، عالم في النحو والتصريف والبلاغة والعروض والشعرتوفى عام ٦٢٦، من آثاره مفتاح العلوم ومصحف الزهرة (مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده: ١/ ١٦٣، ومعجم المؤلفين ١٣/ ٢٨٢).

ولكل من الفريقين أدلته التى يراها مؤيدة لرأيه، وها هي أدلة كل فريق على حدة.

أدلة النافين

أما الذين نفوا السجع عن القرآن، فقد أيدوا رأيهم بأدلة متعددة، حرر معظمها أبو بكر الباقلانى، كما رد على أدلة المثبتين.

ونحن في هذا المقام سنورد هذه الأدلة، مع ملاحظة أن بعضها يتداخل فيه الرد على أدلة المخالف، على النحو التالى[(١)]

١ ـ لو كان القرآن سجعا لكان غير خارج عن أساليب كلامهم، ولو كان داخلا فيها لم يقع بذلك إعجاز.

٢ ـ لو جاز أن يقال هو سجع معجز، لجاز لهم أن يقولوا شعر معجز.

٣ ـ السجع مما يألفه الكهان من العرب، ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفى الشعر، لأن الكهانة تنافى النبوات، وليس كذلك الشعر.

وقد روى أن النبي ﷺ قال للذين جاءوا وكلموه في شأن الجنين: «كيف ندى من لا أكل ولا شرب ولا صاح فاستهل، أليس دمه قد يطل؟».

فقال: أسجاعة كسجاعة الجاهلية؟

وفي بعضها أسجعا كسجع الكهان؟[(٢)]

٤ ـ الذي يقدرونه أنه سجع وهم، لأنه قد يكون الكلام على مثال

---

(١) ملاحظة: هذه الأدلة من رقم (١) إلى رقم (١٧) من كلام الباقلانى في إعجاز القرآن من ٧٦ ـ ٨٤ أما باقى الأدلة فمنسوبة لأصحابها، كما سيأتى في موضعه إن شاء الله تعالى.

(٢) انظر صحيح مسلم، كتاب القسامة، باب (٣٦)، ومسند أحمد: ٢/ ٥٣٥.

السجع، وإن لم يكن سجعا، لأن ما يكون به الكلام سجعا يختص ببعض الوجوه دون بعض، لأن السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدى السجع، وليس كذلك ما اتفق مما هو في تقدير السجع من القرآن، لأن اللفظ يقع فيه تابعا للمعنى.

وفصل بين أن ينتظم الكلام في نفسه بألفاظه التى تؤدى المعنى المقصود فيه، وبين أن يكون المعنى منتظما دون اللفظ.

ومتى ارتبط المعنى بالسجع كانت إفادة السجع كإفادة غيره، ومتى ارتبط المعنى بنفسه دون السجع كان مستجلبا لتجنيس الكلام دون تصحيح المعنى.

٥ - ثم إن سلم لهم مسلم موضعا أو مواضع معدودة، وزعم أن وقوع ذلك موقع الاستراحة في الخطاب إلى الفواصل لتحسين الكلام بها، وهي الطريقة التى يباين القرآن بها سائر الكلام، وزعم أن الوجه في ذلك أنه من باب الفواصل، أو زعم أن ذلك وقع غير مقصود، فإن ذلك إذا اعترض في الخطاب لم يعد سجعا على ما قد بينا من القليل في الشعر، كالبيت الواحد والمصراع، والبيتين من الرجز، ونحو ذلك يعرض فيه، فلا يقال إنه شعر، لأنه لا يقع مقصودا إليه، وإنما يقع مغمورا في الخطاب.

فكذلك حال السجع الذي يزعمونه ويقدرونه.

٦ - ويقال لهم: لو كان الذى في القرآن على ما تقدرونه سجعا لكان مذموما مرذولا، لأن السجع إذا تفاوتت أوزانه، واختلفت طرقه كان قبيحا من الكلام.

وللسجع منهج مرتب محفوظ، وطريق مضبوط، متى أخل به المتكلم أوقع الخلل في كلامه، ونسب إلى الخروج عن الفصاحة، كما أن الشاعر إذا خرج عن الوزن المعهود كان مخطئا، وكان شعره مرذولا وربما أخرجه عن كونه شعرا.

وقد علمنا أن بعض ما يدعونه سجعا متقارب الفواصل، متدانى المقاطع، وبعضها مما يمتد حتى يتضاعف طوله عليه، وترد الفاصلة على ذلك الوزن الأول، بعد كلام كثير، وهذا في السجع غير مرضى ولا محمود.

٧ - لو كان الكلام الذي هو في صورة السجع منه لما تحيروا فيه، وكانت الطباع تدعو إلى المعارضة، لأن السجع غير ممتنع عليهم، بل هو عادتهم.

فكيف تنقض العادة بما هو نفس العادة، وهو غير خارج عنها ولا مميز منها؟

وقد يتفق في الشعر كلام على منهاج السجع، وليس بسجع عندهم، وذلك كقول البحترى:

قريب المدى حتى يكون إلى الندى * عدو البنى حتى تكون معالى

ونظيره من القرآن ﴿ **أمرنا مترفيها ففسقوا فيها** ﴾ (الإسراء: ١٦) ولو كان ذلك عندهم سجعا لم يتحيروا في ذلك التحير، حتى سماه بعضهم سحرا، وتصرفوا فيما كانوا يسمونه به، ويصرفونه إليه، ويتوهمونه فيه، وهم في الجملة عارفون بعجزهم عن طريقه.

وليس القوم بعاجزين عن تلك الأساليب المعتادة عندهم المألوفة لديهم.

٨ - من جنس السجع المعتاد عندهم قول أبى طالب لسيف بن ذى يزن:

«أنبتك منبتا طابت أُرُومَتُه، وعزت جرثومته، وثبت أصله، وبسق فرعه، ونبت زرعه في أكرم موطن، وأطيب معدن.» وما يجرى هذا المجرى من الكلام.

والقرآن مخالف لنحو هذه الطريقة مخالفته للشعر، وسائر أصناف كلامهم الدائر بينهم.

٩ - إن القائلين بالسجع يذمون كل سجع خرج عن اعتدال الأجزاء، فكان بعض مصاريعه كلمتين، وبعضها تبلغ كلمات، ولا يرون في ذلك فصاحة، بل يرونه عجزا.

فلو رأوا أن ما تلى عليهم من القرآن سجعا لقالوا: نحن نعارضه بسجع معتدل، فنزيد في الفصاحة على طريقة القرآن، ونتجاوز حده في البراعة والحسن.

١٠ - لا بد لمن جوز السجع في القرآن وسلك ما سلكوه من أن يسلم ما ذهب إليه النظام، وعباد بن سلمان، وهشام القرطي، ويذهب مذهبهم في أنه ليس في نظم القرآن وتأليفه إعجاز، وأنه يمكن معارضته، وإنما صرفوا عنه ضربا من الصرف.

١١ - كلام من جوز السجع في القرآن يتضمن تسليم الخبط في طريقة نظمه وأنه منتظم من فرق شتى، ومن أنواع مختلفة، ينقسم إليها خطابهم، ولا يخرج عنها، ويستهين ببديع نظمه، وعجيب تأليفه الذي وقع التحدى إليه.

وكيف يعجزهم الخروج عن السجع والرجوع إليه، وقد علمنا عادتهم في خطبهم وكلامهم أنهم كانوا لا يلزمون أبدا طريقة السجع والوزن؟

بل كانوا يتصرفون في أنواع مختلفة، فإذا ادعوا على القرآن مثل ذلك لم يجدوا فاصلة بين نظمى الكلامين.

هذه أدلة الباقلاني في نفيه السجع عن القرآن،

ثم رد على المثبتين بعدة ردود نختار منها ما يلى:

١٢ - فإن قيل: متي خرج السجع المعتدل إلى نحو ما ذكرتموه خرج من

أن يكون سجعا، وليس على المتكلم أن يكون كلامه كله سجعا بل يأتى به طورا، ثم يعدل عنه إلى غيره، ثم قد يرجع إليه.

قيل: متى وقع أحد مصراعى البيت مخالفا للآخر كان تخليطا وخبطا، وكذلك متى اضطرب أحد مصراعى الكلام المسجع وتفاوت كان خبطا.

وعلم أن فصاحة القرآن غير مذمومة في الأصل، فلا يجوز أن يقع فيه نحو هذا الوجه من الاضطراب.

١٣ ـ لا معنى لقولهم إن ذلك مشتق من ترديد الحمامة صوتها على نسق واحد، وروى غير مختلف، لأن ما جرى هذا المجرى لا يبنى على الاشتقاق وحده، ولو بنى عليه لكان الشعر سجعا، لأن رويه يتفق ولا يختلف، وتتردد القوافى على طريقة واحدة.

١٤ ـ أما الأمور التي يستريح إليها الكلام فإنها تختلف.

فربما كان ذلك يسمى قافية، وذلك إنما يكون في الشعر، وربما كان ما ينفصل عنده الكلامان يسمى مقاطع السجع، وربما سمى ذلك فواصل.

وفواصل القرآن مما هو مختص بها، لا شركة بينه وبين سائر الكلام فيها ولا تناسب.

١٥ ـ ثم قال الباقلاني: «وأما ما ذكروه من تقديم موسى على هارون عليهما السلام في موضع وتأخيره عنه في موضع لمكان السجع ولتساوى مقاطع الكلام فليس بصحيح.

لأن الفائدة عندنا غير ما ذكروه، وهي إن إعادة ذكر القصة الواحدة بألفاظ مختلفة، تؤدى معنى واحدا من الأمر الصعب الذي تظهر فيه الفصاحة، وتتبين فيه البلاغة.

وأعيد كثير من القصص في مواضع مختلفة على ترتيبات متفاوتة، ونبهوا بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله مبتدأ به ومكررا.

ولو كان فيهم تمكن من المعارضة لقصدوا تلك القصة فعبروا عنها بألفاظ لهم تؤدى معناها وتحويها، وجعلوها بإزاء ما جاء به، وتوصلوا بذلك إلى تكذيبه، وإلى مساواته فيما جاء به.

كيف وقد قال لهم ﴿ فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾ الطور: ٣٤) فعلى هذا يكون المقصد بتقديم بعض الكلمات وتأخيرها إظهار الإعجاز على الطريقتين جميعا، دون التسجيع الذى توهموه.

١٦ ـ فإن قال قائل: «القرآن مختلط من أول أوزان كلام العرب، ففيه من جنس خطبهم ورسائلهم وسجعهم، وموزون كلامهم الذي هو غير مقفى، ولكنه أبدع فيه ضربا من الإبداع لبراعته وفصاحته».

قيل: قد علمنا أن كلامهم ينقسم إلى نظم ونثر، وكلام مقفى غير موزون، ونظم موزون ليس بمقفى، كالخطب والسجع، ونظم مقفى موزون، له روي.

ومن هذه الأقسام ما هو سجية الأغلب من الناس، فتناوله أقرب، وسلوكه لا يتعذر، ومنه ما هو أصعب تناولا كالموزون عند بعضهم، أو الشعر عند الآخرين.

وكل هذه الوجوه لا تخرج عن أن يقع لهم بأحد أمرين، إما بتعمل أو بتكلف وتعلم وتصنع، أو باتفاق من الطبع، وقذف من النفس على اللسان، للحاجة إليه.

ولو كان ذلك مما يجوز اتفاقه من الطبائع، لم ينفك العالم من قوم يتفق ذلك منهم، ويتعرض على ألسنتهم، وتجيش به خواطرهم، ولا ينصرف عند الكل، مع شدة الدواعى إليه.

ولو كان طريقه التعلم لتصنعوه ولتعلموه، فالمهلة لهم فسيحة، والأمد واسع.

١٧ ـ ومن ردود الباقلانى على مثبتى السجع أيضا، قوله:

«ولا معنى لقول من قدر أنه ترك السجع تارة إلى غيره، ثم رجع إليه، لأن ما تخلل بين الأمرين يؤذن بأن وضع الكلام غير ما قدروه من التسجيع، لأنه لو كان من باب السجع لكان أرفع نهاياته، وأبعد غاياته»[١].

١٨ ـ ويضيف الرماني في كتابه «النكت» إلى هذه الأدلة دليلا آخر فيقول:

«والفواصل بلاغة، والأسجاع عيب، وذلك أن الفواصل تابعة للمعانى، وأما الأسجاع فالمعانى تابعة لها.

ويشرح الرمانى لماذا كان السجع عيبا، فيقول:

لأنه «قلب ما توجبه الحكمة في الدلالة، إذا كان الغرض الذي هو حكمة إنما هو الإبانة عن المعانى، التى الحاجة إليها ماسة، فإذا كانت المشاكلة وصلة إليه فهو بلاغة، وإذا كانت المشاكلة على خلاف ذلك فهو عيب ولكنةٌ، لأنه تكلف من غير الوجه الذى توجبه الحكمة.

ومثله مثل من رصع تاجا ثم ألبسه زنجيا ساقطا، أو نظم قلادة در، ثم ألبسها كلبا، وقبح ذلك وعيبه بيِّنٌ لمن له أدنى فهم»[٢].

١٩ ـ ويدلل ابن خلدون[٣] على أن الفواصل ليست سجعا، بأنه لم يلتزم فيها ما يلتزم في السجع، حيث يقول في مقدمته:

---

(١) انظر أدلة الباقلانى، وردوده على أدلة المخالفين في إعجاز القرآن: ٧٦ ـ ٨٤.

(٢) النكت: ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز: ٨٩، ٩٠.

(٣) ابن خلدون هو: عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد الحضرمى الأشبيلى الأصل، التونسي ثم القاهري المالكي عالم أديب، مؤرخ، اجتماعى، حكيم توفى بالقاهرة عام ٨٠٨ هـ، من مؤلفاته: العبر (تاريخ ابن خلدون) وطبيعة العمران. (الضوء اللامع للسخاوى ٤/ ١٤٥، وشذرات الذهب ٧/ ٧٦، ومعجم المولفين: ٥/ ١٨٨).

«ويسمى آخر الآيات فيها فواصل، إذ ليست أسجاعا، ولا التزام ما يلتزم في السجع، ولا هي أيضا قواف»[(١)] .

٢٠ - ويدلل النافون للسجع من القرآن أيضا بأن البيان القرآني ليس قائما على اعتبار لفظي، وإنما على مقتضى معنوى بلاغى يقويه الأداء اللفظي.

تقول عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) في ردها على من علل حذف الضمير في قوله تعالى: ﴿ **ما ودعك ربك وما قلى** ﴾ من سورة الضحى، بأنه لرعاية الفاصلة:

«أما تعليل الحذف برعاية الفاصلة، فليس من المقبول عندنا أن يقوم البيان القرآنى على اعتبار لفظي، وإنما الحذف لمقتضى معنوى بلاغى، يقويه الأداء اللفظى دون أن يكون الزخرف الشكلى هو الأصل.

ولو كان البيان القرآنى يتعلق بمثل هذا لما عدل عن رعاية الفاصلة في آخر سورة الضحي ﴿ **فأما اليتيم فلا تقهر، وأما السائل فلا تنهر، وأما بنعمة ربك فحدث** ﴾.

وليس في السورة كلها (ثاء) فاصلة، بل ليس فيها حرف الثاء على الإطلاق، فلم يقل «فخبر» لتستقيم الفواصل علي مذهب أصحاب الصنعة ومن يتعلقون بها.»؟

ثم تقول معللة سبب الحذف:

«ويبقى القول بأن الحذف لدلالة ما قبله على المحذوف، وتقتضيه حساسية معنوية، بالغة الدقة واللطف والإيناس، وهي تحاشي خطابه تعالى لحبيبه المصطفى: ما قلاك، لما فى القلى من الطردوالإبعاد وشدة البغض أما التوديع فلا شئ فيه من ذلك، بل لعل الحس اللغوى فيه يؤذن بالفراق على كره، مع رجاء العودة»[(٢)] .

---

(١) تاريخ ابن خلدون: ١/ ٤٩٧ طبعة: ١٣٩١ هـ - ١٩٧١م.

(٢) التفسير البيانى لعائشة عبد الرحمن: ١/ ٢٤، ٢٥.

المثبتون للسجع في القرآن الكريم

ما سبق ذكره كان يمثل أدلة الفريق الأول الذي كان زعماؤه في الأساس معظمهم من المدرسة الكلامية، أشعرية كانت أم اعتزالية.

فإذا جئنا إلى الفريق الثاني وجدنا معظمهم من الذين يمثلون المدرسة الأدبية.

واستدلوا لصحة رأيهم بما يأتي:

١ ـ قالوا إن السجع مما يبين به فضل الكلام، وأنه من الأجناس التي يقع بها التفاضل في البيان والفصاحة، كالتجنيس والالتفات وما أشبه ذلك من الوجوه التي تعرف بها الفصاحة(١).

بل يذهب ابن الأثير(٢) في فضل السجع، وشيوعه في أكثر القرآن مذهبا غاية في الغلو حيث يقول:

«إن أكثر القرآن مسجوع، حتى إن السورة لتأتى جميعها مسجوعة، وما منع أن يأتى القرآن كله مسجوعا إلا أنه سلك به مسلك الإيجاز والاختصار، والسجع لا يؤاتى في كل موضع من الكلام على حد الإيجاز والاختصار، فترك استعماله في جميع القرآن لهذا السبب.

ثم يقول:

وههنا وجه آخر ـ هو أقوى من الأول ـ ولذاك ثبت أن المسجوع من الكلام أفضل من غير المسجوع، وإنما تضمن القرآن غير المسجوع لأن ورود

---

(١) إعجاز القرآن للباقلانى: ٧٦.

(٢) ابن الأثير هو: نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيبانى الجزرى، أبو الفتح ضياء الدين، أديب كاتب، من الوزراء، ولد بجزيرة ابن عمر، وانتقل إلى الموصل، توفى ببغداد عام ٦٣٧هـ، ومن آثاره: المثل السائر، والمعانى المخترعة في صناعة الإنشاء (وفيات الأعيان ٢/٢٠٨، معجم المؤلفين: ١٣/٩٨).

غير المسجوع معجزا أبلغ في باب الإعجاز من ورود المسجوع، ومن أجل ذلك تضمن القرآن القسمين جميعا»[١].

والمبالغة واضحة في كلام ابن الأثير غاية الوضوح، فمن ذا الذى يقول إن أكثر القرآن مسجوع، حتى من المثبتين للسجع في القرآن؟

والأدهى والأمر من تلك الدعوى استدلاله عليها، حيث يقول إن الذي منع أن يكون كل القرآن مسجوعا مراعاة الإيجاز والاختصار. يا الله!!! هل يعجز الله عز وجل لو أراد أن يجعل القرآن كله مسجوعا علة الإيجاز والاختصار؟

إن الله عز وجل لو أراد أن يجعله مسجوعا وفي الوقت ذاته موجزا مختصرا ما حال دون إرادته شئ، فسبحانه من عليم قدير، وحكيم خبير!!! ولذلك رأينا بعضا من أصحاب المدرسة الأدبية الذين يقولون بالسجع في القرآن ينبذون قوله هذا، ويفندونه.

فهذا هو الجندى[٢] صاحب «صور البديع» يفند كلام ابن الأثير رغم قوله بالسجع في القرآن أيضا، حيث يقول:

«والمبالغة واضحة في كلام ابن الأثير، فلا يمكن وصف القرآن بأن أكثره مسجوع، ولا نقره على هذا الاستدلال الغريب، الذي أيد به رأيه.

فمن الجرأة على القرآن أن يقال: إنه لولا مراعاة الإيجاز والاختصار لأتى كله مسجوعا، لأن السجع لا يساوقه الإيجاز دائما!

فمن أين لابن الأثير الاطلاع على علم الله، حتى يتحدث عنه حديث

---

(١) المثل السائر: ١١٧، ١١٨ طبعة ١٣٨٢ هـ.

(٢) الجندى هو: على الجندي، أديب مصرى، عمل أستاذا مساعدا بجامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة فيما بعد) له مؤلفات كثيرة في الشعر والنثر، خاصة فيما يتعلق بعلوم البلاغة، وعلى رأسها علم البديع: انظر: مفكرون وأدباء من خلال آثارهم لأنور الجندي: ١٧٠ ط دار الإرشاد ببيروت.

العارف بمقاصده العليا، في إيثار الترسل حينا قصد الإيجاز؟

إن الأمر هنا لا يتعلق بجمال الفواصل، وحسن التركيب، ورونق الألفاظ، ودقة المعانى، وجوهر التشريع، والمفاضلة بين أسلوب وأسلوب ولكن يتعلق باكتناه سر علوي استأثر الله به.

وليس سبحانه شاعرا أو كاتبا حتى يحاول ابن الأثير كشف نفسيته، وبيان أن السجع أحب إليه من الترسل لولا رعاية كذا وكذا! فهل يظن هذا الرجل أن الله مغرم بالسجع غرامه به؟

وقد اعتاد البلغاء المحدثون أن يتكلموا على الآيات القرآنية، ويجلوا ما حوته من صور بيانية، وحقائق سامية، ويتدارسونها كما يتدارسون النصوص الأدبية، الخالصة، غير ناظرين إلى شىء وراء ذلك من مسائل الإعجاز الذاتى أو بالصرفة، ولكن ما قالوه ويقولونه غير القول بأن القرآن كان حتما أن يكون مسجوعا لولا الإيجاز والاختصار!!

إلى أن يقول الجندى:

والوجه الذي قال عنه ابن الأثير: إنه أقوى من الأول وجه مائل قاتم، فمتى ثبت أن المسجوع من الكلام أفضل من غير المسجوع؟ ومن الذى قال ذلك؟

إن الذى قاله رجل واحد، هو ابن الأثير، وإنما قاله لأنه أكثر من عرفتهم صناعة القلم كلفا بالسجع وتهالكا عليه»[(١)].

وهذا هو أحد أكابر أئمة الزيدية، يحيى بن حمزة العلوى[(٢)]، يقول:

«وأكثر القرآن وارد على جهة السجع»[(٣)].

---

(١) صور البديع، لعلى الجندي: ٢/ ١٧٠، ١٧١ ط دار الفكر العربى.

(٢) أحد أئمة الشيعة الزيدية باليمن، صاحب كتاب الطراز ت٧٤٥هـ: الأعلام ٩/ ١٧٤

(٣) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ٣/ ١٨.

ويعقب عليه على الجندى أيضا بقوله:

«وهو في ذلك لا يقل إغراقا عن ابن الأثير، وليس ذلك بعجيب منه، فمن يقرأ كتابه الطراز بإمعان وتدبر، يتبين مبلغ تأثره بابن الأثير، وكثيرا ما ينتهب أفكاره دون أن يشير إلى ذلك»(١).

٢ ـ ومن حجج القائلين بالسجع في القرآن أيضا قولهم:

إن السجع ليس عيبا فيَ كل الأحوال، لأنه ينقسم إلى قسمين:

أ ـ ممدوح، وهو ما ليس فيه تكلف.

ب ـ ومذموم، وهو الذى فيه تكلف، والواقع في القرآن هو الممدوح.

يقول ابن سنان الخفاجي: «والمذهب الصحيح أن السجع محمود إذا وقع سهلا متيسرا بلا كلفة ولا مشقة، وبحيث يظهر أنه لم يقصد في نفسه، ولا أحضره إلا صدق معناه، دون موافقة لفظه، ولا يكون الكلام الذى قبله إنما يتخيل لأجله، وورد ليصير وصلة إليه.

فإنا متى حمدنا هذا الجنس من السجع كنا قد وافقنا دليل من كرهه، وعملنا بموجبه لأنه إنما دل على قبح ما يقع من السجع بتعمل وتكلف، ونحن لم نستحسن ذلك النوع.

ووافقنا أيضا دليل من اختاره، لأنه إنما دل به على حسن ما ورد منه في كتاب الله تعالى، وكلام النبى ﷺ، والفصحاء من العرب»(٢).

وقال أيضا: «فأما القرآن فلم يرد فيه إلا ما هو من القسم المحمود، لعلوه في الفصاحة»(٣).

٣ ـ وقال المثبتون أيضا:

---

(١) صور البديع: ٢/ ١٧١.

(٢) سر الفصاحة: ١٦٤. (٣) سر الفصاحة: ١٦٥.

إن الرسول ﷺ كان يتكلم بالسجع، وربما غير الكلمة عن وجهها لمراعاة السجع.

قال أبو هلال العسكري: «وقد جرى عليه (أي على السجع) كثير من كلامه عليه السلام، ثم ذكر حديث:

«أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام»[(١)].

ثم قال: وكان ﷺ ربما غير الكلمة عن وجهها للموازنة بين الألفاظ، وإتباع الكلمة أخواتها، كقوله ﷺ:

«أعيذه من الهامة، والسامة، وكل عين لامة»[(٢)].

وإنما أراد: ملمة.

وقوله عليه السلام: «ارجعن مأزورات غير مأجورات»[(٣)].

وإنما أراد موزورات، من الوزْر، فقال مأزورات، لمكان مأجورات، قصدا للتوزان وصحة التسجيع.

فكل هذا يؤذن بفضيلة التسجيع، على شرط البراءة من التكلف والخلو من التعسف».

ولما أحس أبو هلال العسكري بتكلفه في استدلاله، وأنه قد حَملَ رسول الله ﷺ ما لم يقصده من تعمد السجع قال:

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده: ٥/ ٤٥١، والترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة باب (٤٢).

(٢) أخرجه البخاري بلفظ «أعوذ بكلمات الله التامة، ومن كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة» في كتاب الأنبياء، باب (١٠)، ونقل الحافظ في الفتح: ٦/ ٤١٠ عن ابن الأنباري قوله: «وقال لامة ليؤاخي لفظ هامة، لكونه أخف على اللسان، بينما نقل عن أبي عبيد قوله: «وإنما قال لامة لأنه أراد أنها ذات لمم».

(٣) أخرجه ابن ماجة في سننه في كتاب الجنائز، باب (٥٠).

«وقد اعتمد في موضع تجنب السجع وهو معرّض له، وكلامه كان يطالبه، فقال:

«وما يدريك أنه شهيد؟ لعله كان يتكلم بما لا يعنيه، ويبخل بما لا ينفعه»[١].

ولو قال بما لا يغنيه لكان سجعا، والحكيم العليم بالكلام يتكلم على قدر المقامات، ولعل قوله: «ينفعه» كان أليق بالمقام فعدل إليه»[٢].

وكأن أبا هلال يرد على نفسه بنفسه، فالسجع إذاً ليس هو المقصود، وإنما المقصود هو المعني، واللفظ تابع له.

٤ - ومن أدلة المثبتين للسجع أيضا قولهم:

«وجدنا الشعر من القصيد والرجز، قد سمعه الرسول ﷺ واستحسنه، وأمر به شعراءه، وعامة أصحاب رسول الله ﷺ قد قالوا شعرا، قليلا كان ذلك أم كثيرا، وسمعوا واستنشدوا، فالسجع والمزدوج دون القصيد والرجز، فكيف يحل ما هو أكثر، ويحرم ما هو أقل؟»[٣].

ويبدو على هذا الدليل عدم الدقة والموضوعية، إذ الكلام ليس في الحل أو الحرمة، وإنما في هل في القرآن سجع أم لا؟

وعللوا النهي الوارد في الحديث بأمرين:

١ - تشدق المتكلم بالسجع لإبطال الحق.

٢ - لقرب العهد بالجاهلية.

قال عبد الصمد بن عبد الفضل - كما يروي عنه الجاحظ: لو أن هذا

---

(١) أخرجه الترمذي بلفظ «أو لا تدرى فلعله تكلم فيما لا يعنيه، أو بخل بما لا ينقصه» وقال: هذا حديث غريب: سنن الترمذي: كتاب الزهد، باب (١١).

(٢) الصناعتين: ٢٦٨.

(٣) البيان والتبيين للجاحظ: ١/٢٧٦.

المتكلم لم يرد إلا الإقامة لهذا الوزن لما كان عليه بأس، ولكنه عسى أن يكون أراد إبطالا لحق، فتشادق في كلامه»[1].

وقال الجاحظ نفسه: «وكان الذى كَرَّه الأسجاع بعينها، وإن كانت دون الشعر في التكلف والصنعة، أن كهان العرب الذين كان أكثر أهل الجاهلية يتحاكمون إليهم، وكانوا يدَّعون الكهانة وأن مع كل واحد منهم رَئِيًّا من الجن، مثل حازى جهينة ومثل شقٍّ، وسطيح، وعزى سلمة، وأشباههم كانو يتكهنون ويحكمون بالأسجاع.

إلى أن قال:

«فوقع النهى في ذلك لقرب عهدهم بالجاهلية، ولبقيتها فيهم، وفي صدور كثير منهم، فلما زالت العلة زال التحريم.

وقد كانت الخطباء تتكلم عند الخلفاء الراشدين، فتكون في تلك الخطب أسجاع كثيرة، فلم ينهوا منهم أحدا»[2].

٥ ـ ومن أدلة المثبتين للسجع في القرآن أيضا قولهم:

إن العرب استعملته في كلامهم واستحسنته، لذلك جرى القرآن على أسلوبهم.

قال أبو هلال العسكرى:

«وقد أعجب العربَ السجعُ، حتى استعملوه في منظوم كلامهم، وصار ذلك الجنس من الكلام منظوما في منظوم، وسجعا في سجع.»[3].

٦ ـ قالوا: إن اللغة تؤيدهم في إطلاق لفظ السجع على ما جاء في القرآن الكريم على هيئة السجع.

---

(١) البيان والتبيين: ١/٢٧٦.
(٢) المصدر السابق: ١/٢٧٧، ٢٧٨.
(٣) الصناعتين: ٢٧٠، ٢٧١.

قال الباقلانى في تحرير دليلهم هذا:

«ويبنون الأمر في ذلك على تحديد معنى السجع، قال أهل اللغة: هو موالاة الكلام على وزن واحد.

قال ابن دريد: سجعت الحمامة معناه: رددت صوتها.

وأنشد:

ضربت فأبكتك الحمام السواجع تميل بها ضحوا غصونٌ نوائع(١)

وقد ذكرنا رد الباقلانى على هذا الدليل ضمن أدلة النافين تحت رقم (١٣)، فليرجع إليه.

٧ - ومن أدلة المثبتين للسجع في القرآن آية ﴿ **هارون وموسى** ﴾ من سورة طه.

حيث قالوا: لما كانت الفاصلة بالواو والنون قيل موسى وهرون، فلما اقتضى السجع في موضع آخر أن لا تختم بالنون قدم هرون، فقيل هرون وموسى، مع أن موسى أفضل من هرون بالإجماع.

ويعتبر هذا الدليل من أقوى أدلتهم، بل إن الباقلانى يعتبره أقواها على الإطلاق، حيث يقول:

«وأقوى ما يستدلون به عليه اتفاق الكل على أن موسى أفضل من هرون عليهما السلام، ولمكان السجع قيل في موضع ﴿ **هرون وموسى** ﴾ (طه: ٧٠)، ولما كانت الفواصل في موضع آخر بالنون، قيل ﴿ **موسى وهرون** ﴾ (الأعراف: ١٢٢). وقد ذكرنا رد الباقلانى على هذا الدليل سابقا، ولغير الباقلانى ردود كثيرة، فليرجع إليها في كتب التفاسير.

---

(١) إعجاز القرآن للباقلانى: ٧٦، ٧٧، والنوائع: الموائل.

من ردود المثبتين على النافين

ومن ردود المثبتين للسجع في القرآن على النافين قولهم: إن القرآن لم يكن كله مسجوعا، لأن الفصاحة تقتضي عدم الاستمرار على نمط واحد وأيضا حتى لا يكون هناك ملل، وأيضا فإن المقام يستلزم التغيير.

يقول ابن سنان الخفاجي:

«فإن قال قائل: إن كان عندكم أن السجع محمود، فهلا ورد القرآن كله مسجوعًا؟ وما الوجه في ورود بعضه مسجوعا، وبعضه غير مسجوع؟

قيل: إن القرآن أنزل بلغة العرب، وعلى عرفهم وعادتهم، وكان الفصيح من كلامهم لا يكون كله مسجوعا، لما في ذلك من أمارات التكلف والاستكراه والتصنع، لا سيما فيما يطول من الكلام.

فلم يرد مسجوعا جريا به على عرفهم في الطبقة العالية من كلامهم ولم يخل من السجع لأنه يحسن في بعض الكلام على الصفة التي قدمناها، وعليها ورد في فصيح كلامهم.

فلم يجز أن يكون عاليا في الفصاحة وقد أخل فيه بشرط من شروطها.

فهذا هو السبب في ورود القرآن مسجوعا وغير مسجوع»[1].

وقال حازم القرطاجني:

«وإنما لم يجئ علي أسلوب واحد، لأنه لا يحسن في الكلام جميعا أن يكون مستمرا على نمط واحد، لما فيه من التكلف، ولما في الطبع من الملل عليه، ولأن الافتنان في ضروب الفصاحة أعلى من الاستمرار على ضرب واحد.

---

(١) سر الفصاحة: ١٦٧.

فلهذا وردت بعض آى القرآن متماثلة المقاطع، وبعضها غير متماثل»[١].

وقال ابن النفيس[٢] :

«يكفى في حسن السجع ورود القرآن به، ولا يقدح في ذلك خلوه في الآيات، لأن الحسن قد يقتضي المقام الانتقال إلى أحسن منه»[٣].

---

(١) البرهان: ١/ ١٥٦، والاتقان: ٢/ ٩٩.

(٢) ابن النفيس هو: على بن أبي الحزم القرشي الدمشقي، المصرى الشافعي، علاء الدين، طبيب شارك في الفقه والأصول والحديث والعربية توفى في مصر عام ٦٨٧هـ من تصانيفه الرسالة الكاملية في السيرة النبوية وطريق الفصاحة، وبغية الطالبين. (طبقات الشافعية للسبكى ٥/ ١٢٩، معجم المؤلفين: ٧/ ٥٨.

(٣) الاتقان: ٢/ ٩٨.

رأينا في هذه القضية

بالتأمل في أدلة الفريقين يتضح لنا ما يأتى:

١ - أن أدلة المثبتين - في مجموعها - وإن كان فيها شئ من الوجاهة إلا أن أدلة النافين أقوى منها، وقد اتضح ذلك بجلاء من خلال ردود النافين عليها.

٢ - بدا لى في أول الأمر أن الخلاف بين الفريقين خلاف لفظي، ينحصر في مجرد التسمية، فهؤلاء يسمون آخر الآية فاصلة، وأولئك يسمونه سجعا، ولا مشاحة في الاصطلاح، ما لم يترتب علي ذلك محظور.

ولكن اتضح لى أن الخلاف أعمق من ذلك، لأن أسلوب القرآن مع الفاصلة غير أسلوب الأدباء مع السجعة.

لذا لا يصح أن نصف الفواصل بأنها سجع، حيث لا ينطبق نظام هذا على تلك.

وقد ركز الباقلانى وغيره على هذه الناحية، في نفيهم السجع عن القرآن الكريم بما أظهر الفرق تماما بين الأسلوبين.

٣ - القول بأن أسلوب القرآن في انتقاء المفردات والجمل والتراكيب أسلوب بديع، لم يألفه العرب من قبل ولا من بعد، أدق وأصدق، من القول بأنه على نمط المعهود لدى العرب ولكنه فاقهم في الفصاحة والبلاغة.

إنه أسلوب فريد تماما، ولقد صدق الباقلانى حينما رد عليهم بقوله - كما سبق ذكره - «لو جاز أن يقال هو سجع معجز لجاز أن يقولوا شعر معجز..» ولكن الواقع أنه ليس بسجع كما أنه ليس بشعر.

٤ - السجع غير المتكلف، وإن لم يكن عيبا، فإنه يجب علينا أن ننزه القرآن عنه، تجنبا لمشابهة ما كان يصدر عن الكهان.

٥ - القول بالفاصلة أدق وأصدق من القول بالسجع، وأبعد من الخلاف حيث لا يرى الجميع أى حرج في تسمية آخر الآية بالفاصلة، بينما يختلفون ويتنازعون ويتناطحون حول إطلاق لفظ السجع على شئ من القرآن.

لذا أرى ضرورة تجنب إطلاق لفظ السجع على القرآن، من الناحية العلمية أولا، حيث إن هناك فرقا بين أسلوبه وأسلوب الفاصلة، ومن الناحية اللفظية ثانياً، لارتباط هذا الأسلوب بما كان يصدر عن الكهنة الكذابين، ومن ناحية انفراد القرآن بمصطلح خاص لأواخر آياته ثالثا.

وما أصدق عبارة أبى العلاء المعرى وأدقها، وهو يرد على ابن الراوندى، حيث يقول رحمه الله:(١)

«وأجمع ملحد ومهتد، وناكب عن المحجة ومقتد، أن هذا الكتاب الذى جاء به محمد ﷺ، كتاب بهر بالإعجاز، ولقى عدوه بالإرجاز، وما حذى على مثال، ولا أشبه غريب الأمثال، ماهو من القصيد الموزون، ولا في الرجز من سهل وحزون، ولا شاكل خطابة العرب، ولا سجع الكهنة ذوى الأرب، وإن الآية منه، أو بعض الآية لتعترض في أفصح كلم يقدر عليه المخلوقون، فتكون فيه كالشهاب المتلألئ في جنح غسق، والزهرة البادية في جدوب ذات نسق».

---

(١) كما في إعجاز القرآن للرافعى: ٢٤٥ ط المقتطف بمصر.

الفصل الرابع

مناسبة الفاصلة لمعنى الآية

﴿الفصل الرابع﴾

مناسبة الفاصلة لمعنى الآية

الناظر في النظم القرآني بشئ من التدبر، يدرك أن كل لفظة منه اختيرت بقدر، لتؤدي معنى مقصودا، لا يؤديه غيرها.

وإلى هذا المعنى يشير ابن عطية[١] رحمه الله بقوله:

«كتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد»[٢].

ولهذا فلا مجال للقول بزيادة كلمة أو حرف.

يقول الرافعي[٣] رحمه الله:

«ولما كان الأصل في نظم القرآن أن تعتبر الحروف بأصواتها وحركاتها، ومواقعها من الدلالة المعنوية، استحال أن يقع في تركيبه ما يسوغ الحكم في كلمة زائدة أو حرف مضطرب، أو ما يجرى مجرى الحشو والاعتراض، بل نزلت كلماته منازلها على ما استقرت عليه طبيعة البلاغة، وما قد يشبه أن يكون من هذا النحو الذى تمكنت به مفردات النظام الشمسى، وارتبطت به سائر أجزاء المخلوقات.

---

(١) ابن عطية هو: عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام المحاربى، الغرناطى، المالكى أبو محمد، عالم في الفقه والحديث والتفسير والنحو واللغة والأدب، رحل إلى المشرق وتوفى بلورقة عام ٥٤١ هـ. من مؤلفاته المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. (بغية الوعاة: ٢٩٥، ومعجم المؤلفين: ٥/ ٩٣).

(٢) المحرر الوجيز: ١/ ٥٢ ط دار الكتب العلمية.

(٣) الرافعى هو: مصطفى صادق بن عبد الرزاق الرافعى، أديب كاتب شاعر، أصله من طرابلس، ولد في بهتيم من قري القليوبية درس في دمنهور ثم في المنصورة، ونال الشهادة الابتدائية، وعين كاتبا بمحكمة طنطا، أصيب بصمم، فكان يكتب له ما يراد منه. انتخب عضوا بالمجمع العلمى العربي بدمشق توفى في طنطا عام ١٣٥٦، من مؤلفاته: تاريخ الأدب العربي، وتحت راية القرآن، والسحاب الأحمر، وإعجاز القرآن. (معجم المؤلفين: ١٢/ ٢٥٦).

إلى أن يقول: «ولقد صارت ألفاظ القرآن بطريقة استعمالها، ووجه تركيبها كأنها فوق اللغة»[١].

والفاصلة القرآنية ينطبق عليها هذا القول تماما، بل الملاحظ عليها أنه اعتنى بها اعتناء خاصا، لما تؤديه من دور غاية في الأهمية من ناحية المضمون، ومن ناحية الشكل، الذى يرتبط بالمضمون أيضا حيث لم يكن مجرد حلية لفظية، أو سماعية.

لذا كانت الفاصلة أمس الكلمات رحما بمعنى الآية، وأحسنها وقعا على الأذن، وأبلغها تأثيرا في القلب.

والمتدبر للآيات القرآنية - قارئا أو سامعا - يدرك بكل سهولة من تدبره هذا أنه في بعض الأحوال سيجد فطرته النقية تنطق بالفاصلة قبل أن يسمعها، كما حدث لمعاذ بن جبل أثناء كتابة زيد بن ثابت لآيات خلق الإنسان في صدر سورة (المؤمنون)، حينما وصل إلى قوله تعالى: ﴿ **ثم أنشأناه خلقا آخر** ﴾ نطق لسان معاذ بقوله: ﴿ **فتبارك الله أحسن الخالقين** ﴾، فضحك رسول الله ﷺ، فقال له معاذ: مم ضحكت يا رسول الله؟ قال: «بها ختمت»[٢].

بل إن المستمع للقرآن بتدبر لو سمع آية تنتهى بفاصلة غير فاصلتها لأحس بهذا التغير، كما حدث لمن سمع قارئا يقرأ ﴿ **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله** ﴾[٣] فختمها بقوله: ﴿ **والله غفور رحيم** ﴾ فراجعه في قراءتها، فلما قرأها صحيحة ﴿ **والله عزيز حكيم** ﴾ قال له: نعم هذا كلام الله، فلما سأله القارئ كيف علم هذا الخطأ أجابه بقوله: «عز فحكم فقطع، ولو غفر فرحم لما قطع»[٤].

---

(١) إعجاز القرآن: ٢٢٤ - ٢٢٦ باختصار.

(٢) الإتقان: ١٠٢/١.　　(٣) المائدة: ٣٨.

(٤) خزانة الأدب للحموى: ٩٧ والقارئ الذى أخطأ هو الأصمعي.

ويتبين لنا مدى مناسبة الفاصلة لمعنى الآية، من خلال بيان أنواعها من هذه الزاوية على النحو التالى:

أنواع الفاصلة

من حيث مناسبتها لمعنى الكلام

تنقسم الفاصلة من حيث مناسبتها لمعنى الكلام الذي سيقت فيه إلى أربعة أنواع على النحو التالى:

١ ـ التمكين.

٢ ـ التصدير.

٣ ـ التوشيح.

٤ ـ الإيغال.

الأول التمكين

أما التمكين: فهو أن يمهد للفاصلة بتمهيد قبلها، تأتي به الفاصلة ممكنة في مكانها، مستقرة في قرارها، مطمئنة في موضعها، غير نافذة ولا قلقة، متعلقا معناها بمعنى الكلام كله تعلقا تاما، بحيث لو طرحت لاختل المعنى، واضطرب الفهم[(١)].

ومن أمثلة ذلك ما يأتى:

١ ـ قوله تعالى: **﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾** (الأنعام: ١٠٣).

فإنه سبحانه لما قدم نفى إدراك الأبصار له، عطف على ذلك قوله: **﴿ وهو اللطيف ﴾** خطابا للسامع بما يفهم، إذ العادة أن كل لطيف لا

(١) انظر: البرهان: ١/ ١٧٠، والاتقان: ٢/ ١٠١.

تدركه الأبصار، ألا ترى أن حاسة البصر إنما تدرك اللون من كل متلون، والكون من كل متكون، فإدراكها إنما هو للمركبات دون المفردات.

وكذلك لما قال: ﴿ **وهو يدرك الأبصار** ﴾ عطف عليه قوله: ﴿ **الخبير** ﴾ مخصصا لذاته سبحانه بصفة الكمال، لأنه ليس كل من أدرك شيئا كان خبيرا بذلك الشئ، لأن المدرك للشئ قد يدركه ليخبره، ولما كان الأمر كذلك أخبر سبحانه وتعالى أنه يدرك كل شئ، مع الخبرة به.

وإنما خص الإبصار بإدراكه ليزيد في الكلام ضربا من المحاسن يسمى التعطف.

ولو كان الكلام: لا تبصره الأبصار، وهو يبصر الأبصار لم تكن لفظتا ﴿ **اللطيف الخبير** ﴾ مناسبتين لما قبلهما[1].

٢ - ومن التمكين للفاصلة أيضا، قوله تعالى: ﴿ **أو لم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون، أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون** ﴾ (السجدة: ٢٦، ٢٧).

فالموعظة في الآية الأولى سمعية، حيث قال: ﴿ **أو لم يهد لهم** ﴾ ولم يقل «أو لم يروا»، لأنه تقدم ذكر الكتاب وهو مسموع، أو أخبار القرون وهي مما يسمع، فناسب أن تكون الفاصلة ﴿ **أفلا يسمعون** ﴾.

أما الموعظة في الآية الثانية فهي مرئية، ولذلك بدأت الآية بقوله تعالى: ﴿ **أو لم يروا** ﴾ فناسب أن تكون الفاصلة ﴿ **أفلا يبصرون** ﴾ لأن سوق الماء إلى الأرض الجرز مرئى.

٣ - ومن التمكين للفاصلة أيضا: قوله تعالى: ﴿ **أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون** ﴾ (البقرة: ٧٦). فمن العقل

(١) البرهان: ١/١٧١، ١٧٢.

أن يكتم الإنسان سره عن عدوه، أما أن يكشف له هذا السر، ويطلعه على عوراته، فقد أعطاه سلاحا ماضيا للتخلص منه بكل سهولة، وهذا فعل غير العقلاء، لذا كانت الفاصلة ﴿ **أفلا تعقلون** ﴾ غاية في التمكن في موضعها.

٤ ـ ونظير هذه الآية آية ﴿ **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون** ﴾[1] فإن من يمد الناس بأسباب السعادة، بينما يتعاطى هو أسباب الشقاوة كان هُو ومَنْ فقد عقله سواء.

٥ ـ ومنه قول لقمان لابنه ﴿ **يا بنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير** ﴾ (لقمان: ١٦).

فالآية تتحدث عن شمول علم الله تعالى لكل ما في الوجود، مهما دق أو خفى، حتى لو كان مثقال ذرة، كائنة أيًا كانت، لذا لم يكن هناك أنسب من أن تختم الآية بهذين الاسمين الجليلين من أسماء الله الحسنى (اللطيف ـ الخبير) دون العليم البصير، أو غيرهما.

وهذا النوع من الفواصل يلاحظ فيه عدة أشياء، نخص بالذكر هنا منها ثلاث ملاحظات:

أ ـ اختلاف الفاصلتين في موضعين والمحدث عنه واحد.

ب ـ اتفاق الفاصلتين والمحدث عنه مختلف، عكس الأول.

جـ ـ أن تجتمع فواصل في موضع واحد، ويخالف بينها.

أما الملاحظة الأولى: وهي اختلاف الفاصلتين في موضعين والمحدث عنه واحد، فمن أمثلته ما يأتي:

---

(١) البقرة: ٤٤.

١ - قوله تعالى: ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ فقد ذكرت هذه الآية مرتين في سورة النساء، الأولي في الآية رقم: ٤٨، والثانية في الآية رقم ١٦٦.

ولكنها في المرة الأولي ختمت بقوله تعالى: ﴿ ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما ﴾، بينما ختمت في المرة الثانية بقوله تعالى: ﴿ ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا ﴾.

وسبب ذلك أن الأولي نزلت في اليهود، وهم أصحاب كتاب فكان شركهم افتراء على الله عظيما، أما الثانية فنزلت في غيرهم ممن ليس لهم كتاب، فنوسب في حقهم الوصف بالضلال.

٢ - ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار ﴾ (إبراهيم: ٣٤).

وقوله تعالى: ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم ﴾ (النحل: ١٨)... فالمحدث عنه في الآيتين واحد، وهو نعمة الله تعالى، ولكن فاصلة الأولى فيها وصف الإنسان بأنه ظلوم كفار، والثانية فيها وصف الله تعالى بصفتى المغفرة والرحمة بصيغة المبالغة ﴿ لغفور رحيم ﴾.

وعن سر ذللك يقول ابن المُنَيِّر رحمه الله[1].

«كأنه يقول: إذا حصلت النعم الكثيرة فأنت آخذها، وأنا معطيها، فحصل لك عند أخذها وصفان، كونك ظلوما وكونك كفارا، ولى عند إعطائها وصفان: وهما أنى غفور رحيم، أقابل ظلمك بغفرانى، وكفرك

---

(١) ابن المنير هو: أحمد بن محمد بن منصور الاسكندرى المالكى، ناصر الدين أبو العباس، عالم مشارك في النحو والعربية والأدب، والفقه والأصول والتفسير والبلاغة ولى قضاء الإسكندرية وتوفى فيها عام ٦٨٣هـ، من مصنفاته البحر الكبير في التفسير، والانتصاف من صاحب الكشاف (بغية الوعاة للسيوطى ٦٨، ومعجم المؤلفين ٢/ ١٦٢).

برحمتي، فلا أقابل تقصيرك إلا بالتوفير، ولا أجازي جفاءك إلا بالوفاء»[(١)].

ويعجب الزركشي بكلام ابن المنير هذا، ويصفه بالحسن، ويضيف عليه هو الآخر حسنا جديدًا فيقول:

«وهو حسن، لكن بقي سؤال آخر، وهو:

ما الحكمة في تخصيص آية النحل بوصف المنعِم، وآية إبراهيم بوصف المنعم عليه؟

والجواب: أن سياق الآية في سورة إبراهيم في وصف الإنسان، وما جبل عليه، فناسب ذكر ذلك عقيب أوصافه، وأما آية النحل فسيقت في وصف الله تعالى، وإثبات ألوهيته، وتحقيق صفاته، فناسب ذكر وصفه سبحانه.

فتأمل هذه التراكيب، ما أرقاها في درجة البلاغة!»[(٢)].

٣ - ومنها أيضا قوله: ﴿من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد﴾ (فصلت: ٤٦)، وقوله تعالى: ﴿من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون﴾ (الجاثية: ١٥).

فلما كان المقصود من الآية الأولى عدم إنقاص شيء من ثواب مَن آمن وعمل صالحا، وعدم زيادة العقاب أكثر مما يستحق ناسب أن تختم الفاصلة بنفي الظلم عن الله تعالى.

أما الآية الثانية: فلما سُبقت بإنكار البعث من المشركين، كما قال الله تعالى: ﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزى قوما بما

---

(١) تفسير: «البحر الكبير في بحث التفسير»، نقلا عن البرهان للزركشي: ١/ ١٧٦.

(٢) البرهان: ١/ ١٧٦، ١٧٧.

كانوا يكسبون ﴾ (الجاثية: ١٤) كما سبقت بإنكار البعث ناسب أن تكون تلك الفاصلة متضمنة لإثبات هذا البعث.

أما الملاحظة الثانية، وهي اتفاق الفاصلتين والمحدث عنه مختلف ـ عكس الأولى ـ فمن أمثلتها:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ **واتبعوا ماتتلوا الشياطين علي ملك سليمان** ﴾ إلى أن ختمت الآية بقوله تعالى: ﴿ **ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون** ﴾ البقرة: ١٠٢.

وقوله تعالى في الآية التالية لها مباشرة: ﴿ **ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون** ﴾.

قال أبو السعود في جواب (لو) في الآية الأولى:

«وجواب (لو) محذوف، أى لما فعلوا ما فعلوا.»[١].

ـ أما جواب (لو) في الآية الثانية فمحذوف أيضا، والتقدير: لآمنوا واتقوا.

٢ ـ ومن أمثلة ذلك أيضا، قوله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم** ﴾ إلى نهاية الآية ﴿ **كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم** ﴾ (النور: ٥٨).

وقوله تعالى في التى تليها مباشرة ﴿ **وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم** ﴾ (الآية: ٥٩).

أما الملاحظة الثالثة: وهي اجتماع الفواصل في موضع واحد مع المخالفة بينها، فمن أمثلتها ما يأتى:

---

(١) إرشاد العقل السليم: ١/ ١٤٠.

١ - قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ **قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم** ﴾ (الآيات من: ١٥١ - ١٥٣).

فإن الأولى ختمت بقوله ﴿ **لعلكم تعقلون** ﴾ ، والثانية بقوله: ﴿ **لعلكم تذكرون** ﴾، والثالثة بقوله: ﴿ **لعلكم تتقون** ﴾.

لأن الوصايا في الآية الأولى إنما يحمل علي تركها عدم العقل الغالب على الهوى، لأن الإشراك بالله لعدم استكمال العقل الدال على توحيده وعظمته، وكذلك عقوق الوالدين لا يقتضيه العقل لسبق إحسانهما إلى الولد بكل طريق، وكذلك قتل الأولاد بالوأد من الإملاق مع وجود الرازق الحى الكريم، وكذلك إتيان الفواحش لا يقتضيه عقل، وكذلك قتل النفس لغيظ أو غضب في القاتل.

فحسن بعد ذلك ﴿ **يعقلون** ﴾.

وأما الثانية: فتعلقها بالحقوق المالية والقولية، فإن من علم أن له أيتاما يخلفهم من بعده لا يليق به أن يعامل أيتام غيره إلا بما يحب أن يعامل به أيتامه، ومن يكيل أو يزن أو يشهد لغيره، لو كان ذلك الأمر له لم يحب أن يكون فيه خيانة، ولا يحسن، وكذا من وعد، لو وعد لم يحب أن يخلف، ومن أحب ذلك عامل الناس به ليعاملوه بمثله، فترك ذلك إنما يكون لغفلة عن تدبر ذلك، وتأمله. فلذلك ناسب الختم بقوله: ﴿ **لعلكم تذكرون** ﴾.

وأما الثالثة: فلأن ترك اتباع شرائع الله الدينية، مؤد إلى غضبه، وإلى عقابه، فحسن ﴿ **لعلكم تتقون** ﴾ أى عقاب الله بسببه[1].

٢ - ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون، ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون** ﴾ (الحاقة: ٤١ ، ٤٢).

---

(١) الاتقان: ٢/ ١٠٢.

حيث ختم الأولى بتؤمنون، والثانية بتذكرون، ووجهه أن مخالفة القرآن لنظم الشعر ظاهرة واضحة لا تخفى على أحد، فقول من قال شعر كفر وعناد، فناسب ختمه بقوله: ﴿ **قليلا ما تؤمنون** ﴾.

وأما مخالفته لنظم الكهان وألفاظ السجع، فيحتاج إلى تذكر وتدبر، لأن كلا منهما نثر، فليست مخالفته له في وضوحها لكل أحد، كمخالفته الشعر، وإنما تظهر بتدبر ما في القرآن، من الفصاحة والبلاغة والبدائع والمعانى الأنيقة.

فحسن ختمه بقوله: ﴿ **قليلا ما تذكرون** ﴾[١].

النوع الثاني: التصدير

أما النوع الثانى من أنواع الفاصلة، من حيث مناسبتها لمعنى الكلام الذى سيقت فيه، فهو التصدير.

والتصدير: أن تكون لفظة الفاصلة بعينها تقدمت في أول الآية[٢]، وتسمى أيضا: رد العجز على الصدر[٣].

وقال ابن المعتز: هو ثلاثة أقسام:

الأول: توافق آخر الفاصلة وآخر كلمة في الصدر.

نحو قوله تعالى: ﴿ **لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا** ﴾ النساء: ١٦٦.

الثاني: أن يوافق أول كلمة منه، نحو: ﴿ **وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب** ﴾ (آل عمران: ٨)، ﴿ **قال إنى لعملكم من القالين** ﴾ (الشعراء: ١٦٨).

---

(١) الاتقان: ٢/١٠٤.   (٢) البرهان: ١/١٧٠، والاتقان: ٢/١٠٤.

(٣) الاتقان: ٢/١٠٤.

الثالث: أن يوافق بعض كلماته، نحو ﴿ **ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون** ﴾ (الأنبياء: ٤١).

﴿ **انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا** ﴾ (الإسراء: ٢١).

﴿ **قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا** ﴾ إلى قوله: ﴿ **وقد خاب من افترى** ﴾ (طه: ٦١).

﴿ **فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا** ﴾ (نوح: ١٠)[١].

النوع الثالث: التوشيح

وهو أن يكون في أول الكلام ما يستلزم الفاصلة

والفرق بينه وبين التصدير:

أن كلا منهما وإن اشترك صدره في الدلالة على عجزه، فإن دلالة التصدير لفظية، أما دلالة التوشيح فمعنوية.

وعن سبب تسميته بهذا الاسم يقول الزركشي رحمه الله:

«وسمى به لكون نفس الكلام يدل على آخره، نزل المعنى منزلة الوشاح، ونزل أول الكلام وآخره منزلة العاتق والكشح اللذين يجول عليهما الوشاح، ولهذا قيل فيه: إن الفاصلة تعلم قبل ذكرها.

وسماه ابن وكيع[٢] «المطمع» لأن صدره مطمع في عجزه، كقوله

---

(١) البديع لابن المعتز: ٩٣، ٩٤ ط مصطفى الحلبي، والاتقان: ٢/ ١٠٤.

(٢) ابن وكيع هو: الحسن بن على بن أحمد بن محمد بن خلف بن حيان الضبى، شاعر، ولد وتوفى بتنيس في مصر عام ٣٩٣هـ، من آثاره: ديوان شعر، والمصنف في الدلالات على سرقات المتنبى، ومنظومة في بحر الأوهام (مرآة الجنان لليافعى ٢/ ٤٤٥، ومعجم المؤلفين: ٣/ ٢٨٤.

تعالى: ﴿ ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾[1] (المؤمنون: ١٤).

فقد روى أن عبد الله بن أبى السرح كان يكتبها للنبى، فلما وصل إلى قوله تعالى: ﴿ ثم أنشأناه خلقا آخر ﴾ نطق ابن أبى السرح قائلا: فتبارك الله أحسن الخالقين، فقال له النبي ﷺ أكتبها، فهكذا أنزلت، فشك ابن أبى السرح فارتد، ثم رجع إلى الإسلام مرة ثانية وحسن إسلامه وكان أحد القادة البارعين لجيوش المسلمين. (انظر الإصابة: ٢/٣١٧).

كما أخرج ابن أبى حاتم[2] عن زيد بن ثابت[3] قال:

أملى علىّ رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ﴾ إلي قوله ﴿ خلقا آخر ﴾، قال معاذ بن جبل[4] ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾، فضحك رسول الله ﷺ، فقال له معاذ: مم ضحكت يا رسول الله؟ قال: بها ختمت.»[5].

---

(١) البرهان: ١/١٨٤، والكشح: ما بين السرة إلى الضلع الخلف، والوشاح: الثوب يلبس معطوفا أحد طرفيه على الآخر، بحيث يخرج طرفه الذي ألقاه على عاتقه الأيسر، من تحت يده اليمنى، ثم يعقد طرفيهما على صدره.

(٢) ابن أبى حاتم هو: عبد الرحمن بن (أبى حاتم) محمد بن إدريس بن المنذر التميمى، محدث عارف بالرجال، فقيه، أصولى متكلم، مفسر، توفى بالرى عام ٣٢٧هـ من تصانيفه تفسير القرآن الكريم والجرح والتعديل، والرد على الجهمية والمسند فى ١٢ مجلدا (تذكرة الحفاظ للذهبي: ٣/٤٦، معجم المؤلفين: ٥/ ١٧٠).

(٣) زيد بن ثابت هو: زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصارى الخزرجى، كاتب الوحى لرسول الله ﷺ استصغر يوم بدر وكانت معه راية بنى النجار يوم تبوك، من علماء الصحابة، خاصة في علم المواريث جمع القرآن في العهد البكرى والعثمانى، توفى ٤٥ هـ (الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر: ١/٥٦١).

(٤) معاذ بن جبل هو: معاذ بن جبل بن عمرو الأنصارى الخزرجي، المقدم في علم الحلال والحرام، شهد المشاهد كلها وروى عن النبي ﷺ بعض الأحاديث، بعثه النبي ﷺ إلى اليمن، توفى بالطاعون في الشام سنة ١٨ هـ (الإصابة: ٣/٤٢٦).

(٥) الاتقان: ٢/١٠١.

ومن أمثلة التوشيح أيضا:

١ - قوله تعالى: ﴿ **ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير** ﴾ (البقرة: ٢٠).

٢ - وقوله تعالى: ﴿ **وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون** ﴾ (يس: ٣٧).

قال الزركشي: «فإن من كان حافظا لهذه السورة، متيقظا إلى أن مقاطع فواصلها النون المردفة، وسمع في صدر هذه الآية ﴿ **وآية لهم الليل نسلخ منه النهار** ﴾ علم أن الفاصلة ﴿ **مظلمون** ﴾ فإن من انسلخ النهار عن ليله أظلم، ما دامت تلك الحال»[(١)].

٣ - ومن أمثلة التوشيح أيضا، قوله تعالى: ﴿ **وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** ﴾ (الملك: ١٣، ١٤).

ودلالة الصدر على ما سوف يكون عليه العجز هنا في غاية الوضوح.

النوع الرابع: الإيغال

أما الإيغال فهو: إفادة معنى زائد بعد تمام معنى الكلام[(٢)]

قال الزركشي معللا هذه التسمية:

«وسمى به لأن المتكلم قد تجاوز حد المعنى الذي هو آخذ فيه، وبلغ إلى زيادة على الحد.

يقال: أوغل في الأرض الفلانية، إذا بلغ منتهاها، فهذا المتكلم إذا تم معناه، ثم تعداه بزيادة فيه، فقد أوغل[(٣)].

---

(١) البرهان: ١/ ١٨٥.
(٢) انظر البرهان: ١/ ١٧٠.
(٣) البرهان: ١/ ١٨٥.

﴿ أمثلة ﴾

ومن أمثلة الإيغال في الفاصلة القرآنية ما يأتى:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ **أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون** ﴾ (المائدة: ٥٠).

فالكلام تم معناه عند قوله تعالى: ﴿ **يبغون** ﴾ فجاءت الفاصلة بعده، لتزيد عن المعنى السابق معنى جديدا، ألا وهو مدح المؤمنين الموقنين، والتعريض بذم اليهود المكذبين.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ **اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون** ﴾ (يس ٢١) فالكلام تم معناه عند قوله: ﴿ **أجرا** ﴾، ثم أتى بالفاصلة ﴿ **وهم مهتدون** ﴾ مع أن الرسل مهتدون ـ لإفادة معنى زائد، ألا وهو المبالغة في حث قومه على اتباع هؤلاء المرسلين، وترغيبهم في ذلك.

٣ ـ ومنه قوله تعالى: ﴿ **إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون** ﴾ (الذاريات ٢٣).

فالكلام تم معناه عند قوله: ﴿ **لحق** ﴾ فأريد زيادة معنى جديد وهو تأكيد تحقيق هذا الوعد، بحيث لا يتطرق إليه الشك أبدا، فجئ بهذه الفاصلة التى احتوت على هذا التشبيه البديع.

فواصل دقيقة

الناظر في فواصل القرآن ـ خاصة النوع الأول وهو التمكين ـ يرى أن معظمها واضح المناسبة لمعنى الآية، التي ختمت بها، للدرجة التي جعلت أعرابيا حينما سمع قوله تعالى: ﴿ **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله** ﴾ (المائدة: ٣٨) سمع القارئ يختمها بقوله: والله غفور رحيم، فقال: ما هذا بكلام الله، لما رأى أن المغفرة والرحمة لا تتفقان مع الأمر بقطع الأيدى، فلما أعيدت عليه الآية صحيحة ﴿ والله

عـزيز حكيم ﴾ أقر بصـحة المعنى، لاتفـاق الفاصلة مع الآية وقـال: عز فحكم فقطع، ولو غفر فرحم لما قطع[١].

ولكن هناك فواصل - وإن كانت نادرة - لا يرى فيهـا القارئ غير المتدبر مناسبـة واضحة للمعنى الذي سـيقت فيه، ولكن بالتـدبر والتأمل يرى أن الفاصلة غاية في موضعها، مستقرة في مكانها.

ومن أمثلة ذلك ما يأتي:

أ - قوله تـعالى: ﴿ **إن تعذبهم فـإنهم عبـادك وإن تغفر لـهم فإنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ (المائدة: ١١٨).

فإن قوله: ﴿ **وإن تغفـر لهم** ﴾ يوهم لصاحب النـظرة العابرة أن تكون الفاصلة: فإنك أنت الغفور الرحيم.

ولكن بتدبر وإمعان نظرٍ يتضح أنها في غاية الحسن.

وقد تعددت عبارات العلماء في كيفية تلك المناسبة.

١ - فقيل: لأنه لا يغفر لمن يستـحق العذاب إلا من ليس فوقه أحد أن يرد عليه حُكمه، فهو العـزيز، لأن العزيز في صفات الله هو الغالب، من قولهم: عزه يعزه عزا إذا غلبه.

ووجب أن يوصـف بالحكيم أيضـا: لأن الحـكيم من يضع الـشئ في محله، فالله تعالى كذلك، إلا أنه قد يخـفى وجه الحكمة في بعض أفعاله فيتوهم الضعفاء أنه خارج عن الحكمة، فكان في الوصف بالحكيم احتراس حسن، أى وإن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا معترض عليك لأحد في ذلك، والحكمة فيما فعلته.

٢ - وقيل: لم تختم بالغفور الرحيم، لأن الله تعالى قطع لهم بالعذاب في قوله تعالى: ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به** ﴾ (النساء: ٤٨، ١١٦).

---

(١) خزانة الأدب للحموى: ٩٧، والقارئ المخطئ هو الأصمعى.

٣ ـ وقيل: لأنه مقام تَبَرٍّ، فلم يذكر الصفة المقتضية استمطار العفو لهم.

٤ ـ وقيل: ليس هو على مسألة الغفران، وإنما هو على معنى تسليم الأمر إلى مَنْ هو أملك لهم، ولو قيل: «فإنك أنت الغفور الرحيم» لأوهم الدعاء بالمغفرة، ولا يسوغ الدعاء بالمغفرة لمن مات على شركه، لا لنبى ولا لغيره[1].

ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿ **أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم** ﴾ (التوبة: ٧١).

وقوله تعالى: ﴿ **ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ (غافر: ٨). وقوله تعالى: ﴿ **ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ (المائدة: ٥).

(ب) ومن أمثلة الفواصل الدقيقة أيضا قوله تعالى بعد آيات اللعان: ﴿**ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم**﴾ (النور: ١٠) فالمتبادر إلى الذهن من أول وهلة أن الفاصلة المناسبة هي «تواب رحيم».

لأن الرحمة مناسبة للذنب.

ولكن عبر هنا بقوله (حكيم) للتنبيه على أن مشروعية اللعان من عظيم حكمته سبحانه وتعالى.

قال ابن الأثير:[2] «ففصلت هذه الآية بـ ﴿ **تواب حكيم** ﴾ إثر بيان الحكم، جمعا بين التوبة المرجوة من صاحب المعصية وبين الحكمة في سترها على تلك الصورة».

---

(١) انظر البرهان: ١/١٧٩، والاتقان: ٢/١٠٣.

(٢) كما في محاسن التأويل للقاسمى: ٧/١٤٣.

ولذلك وجدنا نفس التركيب بعد ذلك يختم بفاصلة غير هذه في قوله تعالى أثناء الحديث عن الإفك:

﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم ﴾ (النور: ١٤).

وفي قوله تعالى: **﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم ﴾** (الآية: ٢٠).

(جـ) ومن الفواصل الدقيقة أيضا قوله تعالى: **﴿ وإن من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا ﴾** (الإسراء: ٤٤). فالسؤال المتبادر إلى الذهن هنا هو: ما المناسبة في ختم الآية بالحلم والمغفرة بعد الحديث عن تسبيح كل ما في الكون لله تعالى؟

والجواب: أن ذلك مراعى فيه التقدير في الآية، فإن من معنى الآية: أن كل المخلوقات تسبح لله تعالى ولا تعصيه، أما أنتم فالعصيان من عادتكم، ومع ذلك فإن الله حليم على عصيانكم غفور لذنوبكم.

﴿الفصل الخامس﴾

جمال الفاصلة

﴿ الفصل الخامس ﴾

جمال الفاصلة

للقرآن الكريم نظم بديع في حروفه كلها - خاصة الفاصلة - وهذا النظم البديع للحروف لم يعرفه العرب من قبل، إذ لم يكن لهم اهتمام بالحروف أكثر من تحقيقها، بإخراجها من أماكنها، متصفة بصفاتها.

أما التكييف الصوتى لهذه الحروف، بحيث تنظم حروف كل كلمة، تنظيما متآلفا، في الحركات والسكنات، والمدات والغنات، والاتصالات والسكتات، بمثل ما جاء به القرآن الكريم فلم تعرف العرب ذلك، لا في شعرها، ولا في نثرها.

فلما قرئ عليهم القرآن، ورأوا فيه تلك الحروف، تتتابع أصواتها على نسب معينة، بين مخارجها المختلفة، حتى تنتهى الآيات بفواصل، هي صورة تامة لتلك الأبعاد، التى تنتهى بما تنتهى به الجمل الموسيقية عند مؤلفيها، ومع ذلك وجدوا تلك الفاصلة متفقة تمام الاتفاق، مع آياتها صوتا ومعنى، بصورة عجيبة هي غاية في طريقة الاستهواء الصوتي.

أقول: لما قرئ على العرب هذا القرآن، بهذا النظم العجيب لحروفه، ثم لكلماته، أدركوا أنه يفوق أبلغ شعرهم، وأفخم نثرهم، لأنه جمع من الشعر غاية جماله ومتعته، ومن النثر قمة جلاله وروعته، بل فاق كل ذلك بما لا حد له ولا نهاية، ولا وصف لتك الغاية.

إن هذا النظم العجيب لتلك الحروف هو الذي أوهم من عارض القرآن - كمسيلمة - أن إعجازه يكمن فيما يطلق عليه أجراس الحروف، وأوزان الكلمات، لا غير، وذلك لا يكون إلا في الموزون، من الشعر أو السجع.

وهذا هو الذى دعا العرب إلى أن تقول عنه إنه شعر، لأنها وجدت لتوقيع تلك الحروف هزة لا تجدها إلا في الشعر، ذى الأوزان الخاصة، وما يسمونه بالموسيقى المميزة.

والحقيـقة أن إيقاع الحروف القرآنية، ليس إيقـاعا موسيقيـا، ولا ترنيما شعريا، لأن أجراس الموسيقى متشابهة، وأنغامها متقاربة، وسرعان ما يملها السمع، ويمجها الطبع.

كمـا أن إيقاع الحروف القـرآنية ليس ترنيمـا شعريا، لأن أوزان الشـعر متـحدة، وقـوافيـه متشـابهة، وهذا يؤدى في النـهاية إلى ما تـؤدى إليه الموسيقى، من الملل والسآمة عند من يسمعونها.

أما الـلحن القرآنى فـهو خـلاف ذلك كله، لأن قائل القـرآن هو الذى خلق النفوس وأمزجـتها، والقلوب وأوتارها، وأدرى بالذي يؤثر في تلك الأمزجة، ويهز هذه الأوتار.

ومن هنا كان سر جمال النظم القـرآنى، خاصة تلك الكلمة التي تصِل إليهـا كل تلك الأبعاد لتلك الأصوات التي رتبت على نسب مـعينة، تلك الكلمة التى تسمي بالفاصلة.

إن غاية الاستهواء الصوتي تتم عند تـلك الفاصلة. حيث يشعر القارئ والسامع بجمال هذه الفاصلة لفظا ومعنى.

المقصود بجمال الفاصلة:

ونقـصـد بجـمال الفـاصلة هـنا: «ذلك الإيقـاع اللفظي لهـا، والطرب الحاصل منها، المرتبط بدقة المعنى، وتعبيرها عن المراد بحيث لا تؤدى كلمة أخرى مؤداها».

فدقـة المعنى وحسن الإيـقاع مرتبطـان ببعضـهمـا، ويؤثران في القلب والسمع معا.

ولا نقـصد بالجـمال هنا، جـمال اللـفظ وحسن وقـعه على السـمع، منفصلا عن دقة المعنى.

والناظر في سنة رسول الله ﷺ، يدرك مدى حرص الرسول ﷺ، على أن يستغل القارئ معطيات الفاصلة القرآنية، للتأثر والتأثير بها...

وقد مر بنا أثناء الحديث عن الطريق لمعرفة الفواصل، حديث أم سلمة رضي الله عنها، وهي تنعت لنا قراءة النبى ﷺ وكيف أنه كان يقطع قراءته آية آية، أى يقف علي كل آية.

بل إن الرسول ﷺ أمر بالتغنى بالقرآن، وحكم على من لم يمتثل لهذا الأمر بالتغنى بأنه ليس على المنهج النبوى.

جاء في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: «زينوا القرآن بأصواتكم»[(١)].

كما روى في الموضع ذاته قوله ﷺ:

«ليس منا من لم يتغن بالقرآن»[(٢)].

وكان الصحابة رضي الله عنهم على مستوي الامتثال لهذا الأمر النبوى.

أخرج البخارى ومسلم واللفظ له عن أبى موسى الأشعرى أن النبي ﷺ قال له: «لو رأيتنى وأنا أستمع لقراءتك البارحة! لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود»[(٣)].

من أجل هذا اهتم علماء المسلمين ببيان رؤوس الآى، والتعريف بالوقف وأنواعه، حتى يتضح المعنى، ويحسن الإيقاع، فبينوا لنا أن الوقف أربعة أنواع، تام، وكاف، وحسن، وقبيح، فليرجع إلى كتب القراءات والتجويد من يريد المزيد.

والناظر في فاصلة الآية القرآنية، يرى أن فيها معطيات، تساعد على التأثر والتأثير.

ومن هذه المعطيات ما يلى: -

---

(١) صحيح البخارى: كتاب التوحيد، باب (٥٢).

(٢) الموضع السابق، باب (٤٤).

(٣) البخارى: كتاب فضائل القرآن، باب (٣١)، ومسلم كتاب المسافرين باب (٢٣٦).

١ - **أن أكثر الفواصل القرآنية ينتهى بحروف المد واللين**، وهذا يؤدى إلى حسن التطريب، المتلائم مع جو الآية ومعناه.

قال سيبويه: «وإنما ألحقوا هذه المَدَّة في حروف الروى، لأن الشعر وضع للغناء والترنم فألحقوا كل حرف الذي حركته منه»[(١)].

وقال في موضع آخر: «أما إذا ترنموا فإنهم يلحقون الألف والياء ما ينون وما لا ينون، لأنهم أرادوا مد الصوت»[(٢)].

وقال الزركشي: «قد كثر في القرآن الكريم ختم كلمة المقطع من الفاصلة بحروف المد واللين وإلحاق النون، وحكمته وجود التمكن من التطريب بذلك».

ثم نقل كلام سيبويه السابق، ثم قال:

«وجاء القرآن على أعذب مقطع، وأسهل موقف»[(٣)].

ولأديب العربية مصطفى صادق الرافعي في هذه النقطة كلام من نور، يبين لنا فيه جمال تلك الفواصل، وحسن إيقاعها، وعذوبة وقعها بالإضافة إلى ما تؤديه من معنى، لتؤدى الفاصلة بمضمونها وشكلها دورها المطلوب في إعجاز القرآن، ليقف الكل أمامه دهشا حائرا، لا يعرف كيف أعجز القرآن دولة العرب، أرباب الكلام، وصناع البلاغة، وأصحاب الفصاحة.

يقول عليه سحائب الرضوان متتابعه إلى ما بعد يوم الدين:

«وما هذه الفواصل التى تنتهى بها آيات القرآن إلا صورا تامة للأبعاد التى تنتهى بها جمل الموسيقى، وهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت

---

(١) الكتاب: ٢/ ٢٩٩ ط بولاق.

(٢) الكتاب: ٤/ ٢٠٤ ط عالم الكتب تحقيق هارون.

(٣) البرهان: ١/ ١٦٣.

اتفاقا عـجيبا، يلائم نوع الصوت والوجـه الذي يساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب.

وتراها أكثر ما تنتهى بالنون والميم، وهما الحرفان الطبيعيان في الموسيقي نفسها، أو بالمد، وهو كذلك طبيعى في القرآن.

فإن لم تنتـه بواحدة من هذه، كـأن انتهت بسكون حـرف من الحروف الأخرى، كان ذلك متابعة لصوت الجملة، وتقطيع كلماتها، ومناسبة للون المنطق بما هو أشـبه وأليق بموضعـه، وعلى أن ذلك لا يكون أكثـر ما أنت واجده إلا في الجمل القصار، ولا يكون إلا بحـرف قوى يستتبع القلقلة، أو الصفير، أو نحوهما مما هو ضروب أخرى من النظم الموسيقى.

وهذه هي طريقة الاستهواء الصوتى في اللغة، وأثرها طـبيعي في كل نفس، فهي تشبه في القرآن الـكريم أن تكون صوت إعجازه الذي يخاطب به كل نفس تفهمه، وكل نفس لا تفهمه، ثم لا يجد من النفوس على أي حال إلا الإقرار والاستجابة.

ولو نزل القرآن بغـيرها لكان ضربا من الكلام البليغ، الذي يطمع فـيه أوفى أكثـره، ولما وجد فـيه أثر يتـعدى أهل هذه اللغـة العربيـة إلى أهل اللغات الأخرى.

ولكنه انفرد بهـذا الوجه المعجز، فـتألفت كلماته من حـروف لو سقط واحد منها، أو أبدل بغيره، أو أقحم معه حرف آخر لكان ذلك خللا بينا، أو ضعفا ظاهرا في نسق الوزن، وجَرْس النغمة، وفي حس السمع، وذوق اللسان، وفي انسجـام العبارة، وبراعة المخرج، وتساند الحـروف، وإفضاء بعضها إلى بعض، ولرأيـت لذلك هُجنة في السمع، كالذى تنكره من كل مرئي لم تقع أجزاؤه على ترتيبها، ولم تتفق على طـبقاتها، وخرج بعضها طولا، وبعضها عرضا، وذهب ما بقى منها إلي جهات متناكرة.

وبما انفرد به القرآن، وباين سائر الكلام، أنه لا يخلق على كثرة الرد، وطول التكرار، ولا تمل منه الإعادة.

وكلما أخذت فيه على وجهه الصحيح - فلم تخل بأدائه - رأيته غضا طريًّا، وجديدا مونقا، وصادفت من نفسك له نشاطا مستأنفا، وحسا موفورا.

وهذا أمر يستوى في أصله العالم الذي يتذوق الحروف، ويستمرى تركيبها، ويمعن في لذة نفسه من ذلك، والجاهل الذي يقرأ ولا يثبت معه من الكلام إلا أصوات الحروف، وإلا ما يميزه من أجراسها، على مقدار ما يكون من صفاء حسه ورقة نفسه.

وهو لعمر الله أمر يوسعُ فكر العاقل، ويملأ صدر المفكر.

ولا نرى جهة تعليله، ولا نصحح منه تفسيرا، إلا ما قدمنا من إعجاز النظم، بخصائصه الموسيقية، وتساوُق هذه الحروف على أصول مضبوطة من بلاغة النغم، بالهمس والجهر والقلقة والصفير، والمد والغنة ونحوها، ثم اختلاف ذلك في الآيات بسطا وإيجازا، وابتداء وردا، وإفرادا وتكريرا»(١).

٢ - **ومن معطيات الفاصلة أيضا التى أكسبتها جمالا شكليا وسمعيا،** - إضافة لجمال مضمونها، وبلاغة ألفاظها - **وجود التصدير في كثير من آياتها.**

وقد تحدثنا عنه أثناء مناسبة الفاصلة لمعنى الآية، وقلنا إن معناه أن تكون لفظة الفاصلة بعينها تقدمت في أول الآية، وقد سمى العلماء ذلك: رد العجز على الصدر.

وفي رد العجز على الصدر من الأثر الجميل على السمع والقلب ما هو ظاهر، غير خاف.

---

(١) إعجاز القرآن للرافعي: ٢١٦ - ٢١٨.

يقول على الجندى:

«ولا خفاء في أن هذه الآيات - صدورا وأعجازا - فوق ما تحمل من معانى التقرير والجزم، تترقرق فيها موسيقية عذبة مطردة، يأخذ بعضها بحجز بعض، حتى إذا بلغت مداها بالفواصل، وقعت على قرار مكين، أضفى على سامعه دعة ونشوة وبشاشة، كان يتطلبها ويترقبها، فلم تخلف ظنه فيها»(١).

٣ - ومن معطيات الفواصل للجمال السمعى والمعنوي أيضا: تماثلها وتقاربها، وكل الفواصل القرآنية لا تخرج عن هذين النوعين إلا في مواضع في غاية الندرة، وقد بينا ذلك سابقا.

وهذا التماثل في حروف الروى، أو التقارب، يعطى للتغنى بالقرآن أفضل أدوات التطريب، بعد أن توافرت للفواصل ختمها بحروف المد واللين.

٤ - ومن معطيات الفواصل للجمال السمعى، والمعنوى أيضا: تكرارها في بعض السور، كما في قوله تعالى: ﴿ **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر** ﴾ من سورة القمر، وقوله تعالى: ﴿ **فبأى آلاء ربكما تكذبان** ﴾ من سورة الرحمن، وقوله تعالى: ﴿ **ويل يومئذ للمكذبين** ﴾ من سورة المرسلات.

فبالإضافة إلى ما يعطينا تكرارها من معان هي غاية في الدقة، ومسايرة لسياق الآيات، يعطينا هذا التكرار أيضا إيقاعا محببا، مؤثرا، حيث يحرك العواطف، ويأسر الوجدان.

يقول على الجندى - معلقا على تكرار آية ﴿ **فبأى آلاء ربكما تكذبان** ﴾ وآية ﴿ **ويل يومئذ للمكذبين** ﴾ من الناحية اللفظية:

---

(١) صور البديع: ٢/١٨٦.

« وأما من حيث اللفظ، فكأن هاتين الفاصلتين - ولله المثل الأعلى - قفلة توشيحية، أو قافية شعرية إضافية، تريح نفس القارئ من البُهر، وترشده إلى إجادة الوقف، وتلوين الصوت.

ثم هما تحكمان الربط بين الآيات السابقة واللاحقة، وتسوقان أنغامهما المتسلسلة إلى نهاية تتوحد عندها.

ولا شك أن هذه الفاصلة في سورة (الرحمن) - وهي من السور المقروءة كثيرا، قد زادت من روعة التلاوة، بما خلعت عليها من إيقاع محبب بهيج، وأمدت القراء بألوان من التنغيم المؤثر الأخاذ، نراه يستثير مشاعر السامعين، ويحدوهم بلا وعى إلى ترديد هذه الفاصلة مع القراء، في خشية غامرة، وخشوع عميق.»[(١)] .

نماذج لجمال الفاصلة

إن كل فاصلة في القرآن بمفردها نموذج لجمال الفاصلة من ناحية اللفظ، وروعة بلاغتها من ناحية المعنى.

ولقد انبرى كثير من الأدباء لدراسة الجمال الصوتى والشكلى والمعنوى للفاصلة، وكان من أبرز هؤلاء رحمهم الله تعالى، مصطفى صادق الرافعى في كتابه إعجاز القرآن، وسيد قطب في كتبه «مشاهد القيامة في القرآن» و«التصوير الفنى في القرآن» وتفسير «في ظلال القرآن».

وكلام هذين العالمين في تلك الناحية يستحق أن يفرد ببحث مستقل للدراسة، ولكننا هنا سنختار نموذجا للرافعي، وآخر لسيد قطب، عليهما رحمة الله تعالى.

وسنختار للرافعي حديثه عن فاصلة «ضيزى» من سورة النجم، والسيد قطب حديثه عن ﴿ الحاقة ﴾.

---

(١) صور البديع: ٢/ ١٨٧.

أما الرافعي فيقول:

«وفي القرآن لفظة غريبة هي من أغرب ما فيه، وما حسنت في كلام قط إلا في موقعها منه، وهي كلمة ﴿ **ضيزى** ﴾ من قوله تعالى: ﴿ **تلك إذاً قسمة ضيزى** ﴾ (النجم: ٢٢)، ومع ذلك فإن حسنها في نظم الكلام من أغرب الحسن وأعجبه.

ولو أردتَ اللغة عليها ما صلح لهذا الموضع غيرها، فإن السورة التي هي منها - وهي سورة النجم - مفصلة كلها على الياء، فجاءت الكلمة فاصلة من الفواصل.

ثم هي في معرض الإنكار على العرب، إذ وردت في ذكر الأصنام وزعمهم في قسمة الأولاد، فإنهم جعلوا الملائكة والأصنام بنات لله مع وأدهم البنات، فقال تعالى: ﴿ **ألكم الذكر وله الأنثى؟ تلك إذاً قسمة ضيزى** ﴾، فكانت غرابة اللفظة أشد الأشياء ملاءمة لغرابة هذه القسمة التى أنكرها.

وكانت الجملة كلها كأنها تصور في هيئة النطق بها الإنكار في الأولى والتهكم في الأخرى، وكان هذا التصوير أبلغ ما في البلاغة، وخاصة في اللفظة الغريبة التى تمكنت في موضعها من الفصل، ووصفت حالة المتهكم في إنكاره، من إمالة اليد والرأس بهذين المدّين فيها إلى الأسفل والأعلى، وجمعت إلى كل ذلك غرابة الإنكار بغرابتها اللفظية.

والعرب يعرفون هذا الضرب من الكلام، وله نظائر في لغتهم، وكم من لفظة غريبة عندهم لا تحسن إلا في موضعها، ولا يكون حسنها على غرابتها إلا أنها تؤكد المعنى الذي سيقت له بلفظها وهيئة منطقها.

فكأن في تأليف حروفها معنى حسيا، وفي تأليف أصواتها معنى مثله في النفس، وقد نبهنا إلى ذلك في باب اللغة، من تاريخ آداب العرب.

وإن تعجبْ فاعجبْ لنظم هذه الكلمة الغريبة، وائتلافه على ما قبلها، إذ هي مقطعان: أحدهما مد ثقيل، والآخر مدٌّ خفيف، وقد جاءت عقب غنتين في ﴿ إذاً ﴾ و ﴿ قسمة ﴾ وإحداهما خفيفة حادة، والأخرى ثقيلة متفشية.

فكأنها بذلك ليست إلا مجاورة صوتية لتقطيع موسيقى، وهذا معنى رابع للثلاثة التى عددناها آنفا.

أما خامس هذه المعانى، فهو أن الكلمة التى جمعت المعانى الأربعة على غرابتها إنما هي أربعة أحرف أيضا»[(١)].

أما سيد قطب رحمه الله، فيقول في مفتتح سورة الحاقة:

«والسورة بجملتها تلقى في الحس بكل قوة وعمق إحساسا واحدا، بمعنى واحد، أن هذا الأمر - أمر الدين والعقيدة - جد خالص، حازم جازم جد كله، لا هزل فيه، ولا مجال للهزل فيه».

إلى أن يقول رحمه الله: «يبرز هذا المعنى في اسم القيامة، المختار في هذه السورة، والذي سميت به السورة، «الحاقة».

وهي بلفظها وجرسها ومعناها تلقى في الحس معنى الجد والصرامة والحق والاستقرار.

وإيقاع اللفظ بذاته أشبه شئ برفع الثقل طويلا، ثم استقراره استقرارا مكينا.

رفعه في مدة الحاء بالألف، وجده في تشديد القاف بعدها، واستقراره بالانتهاء بالتاء المربوطة التى تنطق هاء ساكنة»[(٢)].

---

(١) إعجاز القرآن للرافعى: ٢٣٠، ٢٣١.

(٢) في ظلال القرآن: ٦/ ٣٤٧٤.

وهكذا يبدو لنا شيئ من جمال الفاصلة القرآنية، جمالها من ناحية المضمون المعنوي، ومن ناحية الشكل اللفظي، لتؤثر في عقل المتدبر وعاطفته وقلبه تأثيرا يجعله ينطق بكل صدق، واصفا هذا القرآن بقوله: «تنزيل من رب العالمين».

أهم المراجع

١ ـ القرآن الكريم.
٢ ـ الإتقان للسيوطى.
٣ ـ أثر القرآن فى تطور النقد العربى، لمحمد زغلول سلام.
٤ ـ إرشاد العقل السليم، لأبى السعود.
٥ ـ الإصابة فى تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلانى.
٦ ـ إعجاز القرآن للباقلانى.
٧ ـ إعجاز القرآن للرافعى.
٨ ـ الأعلام، لخير الدين الزركلى.
٩ ـ إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنبارى.
١٠ ـ البدر الطالع للشوكانى.
١١ ـ البديع، لابن المعتز.
١٢ ـ البرهان للزركشى
١٣ ـ بغية الوعاة، للسيوطى.
١٤ ـ البيان فى عد آى القرآن للدانى.
١٥ ـ البيان والتبيين، للجاحظ.
١٦ ـ تاريخ بغداد، للخطيب البغدادى.
١٧ ـ تاريخ التراث العربى، لفؤاد سزكين.
١٨ ـ تاريخ حكماء الإسلام، للبيهقى.
١٩ ـ تاريخ ابن خلدون.
٢٠ ـ تذكرة الحفاظ للذهبى.
٢١ ـ التفسير البيانى، للدكتورة عائشة بنت عبد الرحمن.
٢٢ ـ ثلاث رسائل فى الإعجاز للرمانى والخطابى والجرجانى.

٢٣ - حسن المحاضرة، فى أخبار مصر والقاهرة، للسيوطى.
٢٤ - خزانة الأدب للحموى.
٢٥ - الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة لابن حجر.
٢٦ - سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى.
٢٧ - سنن الترمذى.
٢٨ - سنن الدار قطنى.
٢٩ - سنن أبى داود.
٣٠ - سنن ابن ماجه.
٣١ - شذرات الذهب، لابن عماد الحنبلى.
٣٢ - صحيح البخارى.
٣٣ - صحيح مسلم.
٣٤ - صور البديع، لعلى الجندى.
٣٥ - الضوء اللامع، للسخاوى.
٣٦ - طبقات الشافعية الكبرى، للسبكى.
٣٧ - الطبقات الكبرى لابن سعد.
٣٨ - طبقات المفسرين، للداودى.
٣٩ - الطراز، المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ليحيى العلوى.
٤٠ - العين، للخليل بن أحمد، تحقيق: د/ عبد الله درويش.
٤١ - غاية النهاية لابن الجزرى.
٤٢ - الفهرست لابن النديم.
٤٣ - الفوائد المشوق، لابن القيم.
٤٤ - فى ظلال القرآن، لسيد قطب.

٤٥ ـ القاموس المحيط، للفيروز آبادى.

٤٦ ـ الكتاب، لسيبويه، تحقيق، عبد السلام هارون.

٤٧ ـ كتاب الصناعتين، لأبى هلال العسكرى.

٤٨ ـ كشف الظنون، لحاجى خليفة.

٤٩ ـ لسان العرب، لابن منظور.

٥٠ ـ المثل السائر، لابن الأثير.

٥١ ـ محاسن التأويل، للقاسمى.

٥٢ ـ المحرر الوجيز لابن عطية.

٥٣ ـ مرآن الجنان، لليافعى.

٥٤ ـ مستدرك الحاكم على الصحيحين.

٥٥ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل.

٥٦ ـ معانى القرآن للفراء.

٥٧ ـ معانى القرآن للزجاج.

٥٨ ـ معجم الأدباء لياقوت الحموى.

٥٩ ـ معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة.

٦٠ ـ مفتاح السعادة، لطاش كبرى زاده.

٦١ ـ مفكرون وأدباء من خلال آثارهم، لأنور الجندى.

٦٢ ـ النجوم الزاهرة، لابن تغرى بردى.

٦٣ ـ النشر فى القراءات العشر، لابن الجزرى.

٦٤ ـ هدية العارفين، للبغدادى.

٦٥ ـ وفيات الأعيان، لابن خلكان.

الفهرست

الموضـــــوع	صفحة

الموضـــــوع	صفحة

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية
٩٩/٥٢٣٩
تحريراً فى ٢٢/ ٣/ ١٩٩٩م
الترقيم الدولى I. S. B .N
977-19-8526-4